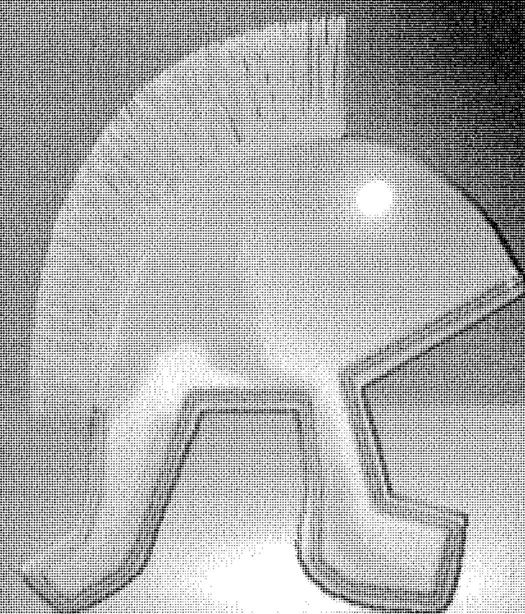
تاريخ
الدول اليونانية والفارسية
في العراق

تأليف
علي ظريف الأعظمي
تقديم وتعليق
عزة رفعت



الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

تاريخ الدول اليونانية والفارسية في العراق

تأليف

علي ظريف الأعظمي

تقديم وتعليق

عزة رفعت

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

٥٢٦ ش بورسعيد ـ الظاهر

ت: ٥٩٢٢٦٢٠ ـ فاكس: ٥٩٣٦٢٧٧

مكتبة الثقافة الدينية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

لما كان المؤرخون على اختلاف مللهم ونحلهم لم يفردوا كتاباً خاصاً يتضمن البحث عن الدول اليونانية والفارسية التى حكمت العراق قروناً عديدة فى أزمان مختلفة – قبل الميلاد وبعده – وكان تاريخ تلك الدول من أهم ما يحتاجه النشؤ الجديد ، بذلت قصارى جهدى للوصول إلى ماجريات تلكم الشؤون والوقوف على الحقائق الراهنة ، وبعد البحث والتنقيب وتصفح الكتب التاريخية القديمة منها والحديثة تيسر لى الإطلاع على ما كنت أبتغية فأقتطفت المهم من شذرات تلك الدول فى قطرنا وجئت بخلاصة ما وقفت عليه من المصادر الوثيقة التى عثرت عليها خدمة للتاريخ ، راجياً من الأساتذة أن يرشدونى إلى الصواب أن وجدوا فى هذا المختصر خطأءاً أو سهواً .



تاريخ الدولة اليونانية في العراق

سنة ٣١١ ق م - سنة ١٢٦ ق م

لا زالــت ولم تزل أرض العراق مطمح أنظار الدول القوية لأهمية موقعها الجغرافى والسياسى ولذلك تداولتها يد الفاتحين ولعبت بها مطامع المتغلبين منذ أقدم الأزمنة وحل بها فى أكثر الأحيان من المصائب والويلات ما لا يوصف غير أنها لم تر دوراً مـثل الدور اليونانى الذى قلب الأرض بطناً لظهر ، وكنت عازماً على نشر حوادثـه مفصــلاً لأهميتـه الـتاريخية بيد أن ضيق الوقت حال بينى وبين ما أريد فأكتفيت الآن بهذه النبذة علها تلاقى قبولاً من اساتذتى رجال التاريخ وإستحساناً من أدباء عاصمة الرشيد، وقبل أن أطلق العنان ليراعى القصير فى البحث عن هذه الدولـة اليونانية التى حكمت قطرنا فى الأزمنة الغابرة يجدر بى أن أبحث مجملاً عن كيفيـة إنقـراض الدولة الكيانية التى كانت قبلها وكيف دك عرشها وثل مجدها المصـلح الكـبير والقـائد الشهير بطل مقدونية الإسكندر الأكبر المعروف بذى القرنين.

كـان جـلوس دار الثالث على كرسى المملكة الفارسية شؤماً على نفسه ورحمـة عـلى من كان تحت سيطرة تلك الدولة من الأمم لا سيما العراقيين الذين

رضـــخوا تحـــت حكمها منذ فتح بلادهم كورش . سنة ٥٣٨ ق م وقرض الدولة البابـــلية الثانية إذ بسبب عدم كفاءته لذلك العرش قضى على حياته وأراح الأمم التى كانت مهضومة الحقوق يوم ذاك ، فقد تولى داراً (٣٣٧ ق م — ٣٣١ ق م) والفـــتن الداخـــلية على ساق وقدم والولاة يستبدون بالأعمال والدولة مضطربة الأحـــوال ، ومما زاد فى الطين بلة ضعف رأيه وعدم قيامه بشؤون مملكته الضخمة التى كانت أكبر دولة فى العالم يومئذ فأتسع الخرق وطمع بها أعداؤها فى يوم كانت فيه مقدونية تزداد نفوذاً وســـــطوة يوماً فيوماً بفضل بطلها الإسكندر بن فيليب (٣٣٦ ق م — ٣٢٣ ق م) الـــذى ارجع لطاعته اليونان الذين أستضعفوه وأرهب الأمـــم ذلـــك الإدارى الضليع والسياسى الكبير تلميذ أرسطو الفيلسوف الشهير بيـــنما دارا غـــافلاً عـــن أمـــور مملكته التى بلغ منها يوم ذلك الفساد السياسى والاجـــتماعى مبلغاً فضيعاً إذ بالإسكندر قد صمم على غزوه ومحو دولته من عالم الوجـــود فمـــا دخلت سنة ٣٣٤ ق م إلا وجمع ذلك القائد العظيم المحنك جيشاً مؤلفـــاً من ثلاثين ألف راجل وما يقرب من خمسة آلاف فارس بين مقدونى ويونانى فـــأنقض عليها وعمره إذ ذاك ٢٢ سنة وبعد أن اجتاز الدردنيل بمائة وثمانين سفينة حـــربية قصـــد أسيا الصغرى، فلما وصل نهر غرانيق قابله الجيش الفارسى وكان مؤلفاً من خمسين ألف مقاتل بين فارسى مجند ويونانى مأجور بقيادة ممنون الردوسى، وبعد معركة عنيفة انتصر الإسكندر وتمزق جيش الفرس وخسر ألفى أسير وعدداً كبيراً من القتلى وهذه أول معركة وقعت بين الإسكندر ودارا الثالث وذلك ســـنة ٣٣٤ ق م وتعرف بواقعة نهر الغرانيق، وعلى أثر هذا الفوز استولى الإسكندر على جميـــع المـــدن التى بساحل الأناضول وظل يتقدم حتى فتح جميع البلاد التى بآسيا الصـــغرى بدون معارض غير أنه لما وصل أبسوس وجد دارا ينتظره هناك بستمائة ألـــف مقاتل فنشبت بينهما حرب عظيمة انتهت بإنكسار الفرس شر كسره فانهزم

دارا تاركاً فى مركز جيشه من الأموال والذخائر ما لا يحصى ومن القتلى ألوفاً ومن الأسـرى مثل ذلك فيهم أمه وزوجته وابنتاه وذلك سنة ٣٣٣ ق م وتعرف هذه الواقعة بواقعة أبسوس .

لما انكسر دارا فى أبسوس إيقن بعدم قدرته على قتال الإسكندر لما رأى من شجاعة عساكره ومهارته الحربية ونظام جيشه فطلب الصلح على شرط أن تكون له أشياء لغاية نهر الفرات وأن يدفع للإسكندر عشرة ألف وزنة من الذهب (قدرها بعضهم بأربع وخمسين مليون فرنك) وأن يزوج ابنته بالإسكندر ، فرفض الإسكندر الصـلح واستمر فى فتوحاته فأضطر دارا لجمع الجنود من جديد فيما وراء الفرات لصد الإسكندر عن ما بقى فى قبضته من البلاد . فأفتتح الإسكندر سورية وفينيقية وفلسطين ومصر وتمت فتوحاته هناك سنة ٣٣٢ ق م، ثم توجه نحو الجزيرة (جزيرة ابن عمر) بأربعين ألفاً من المشاة وسبعة آلاف فارس كلهم من الشجعان البواسل فأجـتاز الفرات ثم عبر دجلة بالقرب من موقع الموصل ومن هناك سار نحو أربيلا (أربيـل الحاليـة) فوجد دارا قد عسكر بقرب أربيلا بجيش عرمرم كان مؤلفاً من مـليون راجل وأربعين ألف فارس وخمسة عشر فيلاً ومائتى عربة فقابله هناك وبعد حـروب شـديدة ومعارك هائلة انتصر الإسكندر انتصاراً باهراً ليس له نظـير فى الـتاريخ مـع أن جيشه كان قليلاً جداً بالنسبة لجيوش دارا الجرارة وذلك سـنة ٣٣١ ق م ، وتعرف هذه الواقعة بواقعة أربيلا .



فتح العراق

بعد ما انكسر دارا ثالثاً فى أربيلا انهزم بمن بقى من عساكره إلى بلاد مادى تاركـــاً جميع البلاد العراقية وما فيها من أمواله وخزائنه ودخل الإسكندر بعد ذلك الفـــوز المـــبين مدينة أربيلا ومنها سار نحو ميز وبوتاميا (العراق) قاصداً مدينة بابل فخـــرج البابليون لاستقباله بثياب الأعياد وضرب الطبول فدخل عاصمة البابليين بســـرور وأرتيـــاح بين ترحيب وتهليل وتصفيق ، وبدخوله هذه العاصمة الشهيرة ســـلمت له كل المدن العراقية وخضع لحكمه كل من كان فى بادية بين النهرين من القبائل وذلك سنة ٣٣١ ق م .

لم يمكث الإسكندر فى بابل إلا قليلاً خوفاً من ضياع الفرصة فسار نحو بلاد فارس فأفتتحها ثم تتبع دارا فى مدية فأنهزم دارا وأفتتح الإسكندر مدية كلها وظل يطارد دارا حتى وجد قتيلاً سنة ٣٣٠ ق م بجوار بلخ، وبموت دارا انقرضت تلك الدولة العريضة المجد وأصبح كل ما كان لها من البلاد والمستعمرات ملكاً لليونان، ولمـــا تم أمر الإسكندر فى البلاد التى مر ذكرها فتح قسماً من بلاد الترك وعاد إلى بـــابل فأستراح قليلاً ثم زحف على الهند سنة ٣٢٧ ق م فأفتتح قسماً كبيراً منها ورجع إلى بابل سنة ٣٢٥ ق م .



وفاة الإسكندر

قضـــى الإسكندر بعد عودته من الهند سنتين تقريباً فى بابل (من سنة ٣٢٥ ق م – ٣٢٣ ق م) يشـــتغل بتنظـــيم مملكته المشمخرة فبنى المرافق وحسن طرق الرى وبذل كل مساعيه بنشر علوم اليونان وفلسفتهم ومدنيتهم فى أنحاء البلاد التى مـــلكها والـــتأليف بين قلوب الغالبين والمغلوبين الذين تحت رأية عدله ، وبينما هو يســـتعد لفتوحات جديدة إذ أصابته حمى قوية دامت أحد عشر يوماً لم تفارقه حتى قضت على حياته سنة ٣٢٣ ق م ، ولما حضرته الوفاة اجتمع رجال دولته وسئلوه عن الذى يخلفه فقال : " خليفتى عليكم أجدركم برعاية الملك ثم نزع خاتمه وسلمه لبرديكاس قائلاً : هذا لمن به الكفآءة .

مـــات ذلك المصلح الكبير بعد أن قرض أعظم دولة كانت فى ذلك العصر وقلب الأرض ظهراً لبطن وأدخل من الإصلاح فى البلاد ما خلد له الذكر الجميل على مر الدهور والأعوام ولم يبلغ الثالثة والثلاثين من عمره حيث كان إذ ذاك أثنى وثلاثين سنة وثمانى أشهر ، وكانت مدة ملكه أثنى عشر سنة وثمانى أشهر ، وكانت وفاتـــه فى القصر الشرقى الذى بناه بختنصر ببابل على ضفة الفرات عند الجسر ولم يـــترك ورائـــه غـــير أمه ليمبياس وأخيه أريديه (أريدة : أرهيدس : آرخيدايوس) وزوجتين برسين وروقزان (ابنة دارا الثالث ملك الفرس) ودفن فى بابل ثم نقل جثة بطليموس إلى مصر ودفنها فى منفيس (منف) حسب وصيته ثم نقلت مرة أخرى إلى الإسكندرية فى أيام خلف بطليموس ، أما سبب موته فقد تضاربت أقوال المؤرخين فيه والأرجح أنه مات مسموماً .



انقسام المملكة

لما دفن الإسكندر وقع الخلاف بين رجال الدولة فيمن يملكون عليهم وأخيراً أعترف الجيش بولاية أخيه أريديه تحت وصاية بردكاس الذى استلم خاتم الإسكندر فأخذ الوصى زمام الأمور فلم تمض شهران حتى ولدت روقزان (زوجة الإسكندر الأكبر وكانت حاملة يوم موته) ابناً فسمى الاسكندر ايجوز (ايفوس) واجلس على سـريـر المـلك يوم ميلاده شريكاً لاريديه بوصاية بردكاس ، بيد أن الطمع وحب الـذات أضـل رجال الدولة فهم كل منهم أن يستأثر بالملك ويستولى على تلك المـملكة العظيمة فأوقدوا نار الحرب بينهم من أجل ذلك وتمادت الفتن والحروب أثنى وعشرون سنة من سنة ٣٢٣ ق م إلى سنة ٣٠١ ق م ، وانتهت بتمزيق تلك المـملكة الـتى كانت ممتدة من نهر طونة إلى نهر السند ومن آرل إلى بر الصحراء الكبرى وتم انقسام إمبراطورية ذلك الملك الجليل إلى ثلاث أقسام سنة ٣٠١ ق م فكـان نصيب بطليموس مصر وفلسطين وجنوب سورية وجزيرة قبرص ، ونصيب كسـاندر (قاساندر) مقدونية والأغريق وتراقية ، ونصيب سلوقس بلادبابل وبلاد آشور وبلاد فارس وأرمينيا والأناضول وشمال سورية وقسماً من الهند .



العراق

بعد الإسكندر

سنة ٣٢٢ ق م - سنة ٣١٢ ق م

أضـــطربت الأحوال فى العراق بعد موت الإسكندر وبقى الأضطرابات أثنى عشـــر ســـنة من سنة ٣٢٣ ق م إلى سنة ٣١٢ ق م حيث أنه لما استلم بردكاس الوصـــى زمـــام أمور المملكة قلدسلوقس ولاية بابل ثم حدثت بينهما نفرة فخرج ســـلوقس عن طاعة بردكاس وأراد أن يستقل ببابل غير أن الظروف عاكسته ففر إلى مصر ، ولما قتل بردكاس صارت بلاد بابل والقسم الشرقى من مملكة الإسكندر نصـــيب سلوقس ولم تمض برهة من الزمن حتى زحف عليه انتيفونس (انطيفونس) أحـــد قواد الإسكندر الطامعين بالملك فأخرجه من بابل حرباً فأضطر سلوقس إلى الفـــرار ملـــتجأ ببطليموس بمصر ، ولما كانت سنة ٣١٢ ق م ، حمل سلوقس على انتيفونس فكسره واسترجع بلاد بابل .



الدولة السلوقية اليونانية والعراق

سنة ٣١٢ ق م — سنة ١٣٦ ق م

سلوقس الأول

سنة ٣١٢ ق م — سنة ٢٨١ ق م

كان سلوقس من كبار اليونان ومن أعظم قواد الإسكندر وقد رافقه فى جميع غزواته وفتوحاته وولاه إمارة بابل عند زحفه على الهند، ولما مات الإسكندر عضد بردكاس فولاه بابل وبعد قليل خرج عن طاعة بردكاس وأراد أن يستقل ببلاد بابل لكنه فشل فى مهمته فأنهزم إلى مصر ملتجأ ببطليموس وعندما أقتسم القواد البلاد بعد قتل بردكاس صارت بلاد بابل والقسم الشرقى من مملكة الإسكندر لسلوقس وبينما هو مشغول بالإصلاحات الداخلية إذ بأنتيفونس قد زحف عليه وبعد معارك شديدة ضاق الحال بسلوقس فأنهزم ثانية إلى بطليموس ملك مصر وظل فى صحبته وحضر معه فى حملته على فلسطين وفى واقعة غزة الأولى سنة ٣١٢ ق م ثم حمل بقسم من عساكر بطليموس على بلاد بابل ولقب نفسه بالملك مثل أقرانه وذلك سنة ٣١٢ ق م .

استرجع سلوقس بلاد بابل لكنه كان خائفاً من هجمات انتيفونس عدوه فاضطر إلى محالفة بطليموس وكساندر فأتفقوا على محاربة ذلك الطامع وظلوا

يطاردونه فتغلبوا عليه سنة ٣٠١ ق م فى واقعة أبسوس وكانت هذه الواقعة خاتمة الحروب التى طال أمدها بين قواد الإسكندر وتمكن سلوقس بعدها من ألحاق أرمينيا وشمال سورية بأملاكه وأستقل بالملك تماماً وأسس مملكة عظيمة عرفت بالدولة السلوقية، وكان بدء تاريخها أكتوبر سنة ٣١٢ ق م ، وهى أكبر دولة تأسست على أنقاض مملكة الإسكندر الأكبر ، ولما استتب أمر سلوقس نظم سياسة مملكته أحسن تنظيم ونشر لواء العدل فى جميع أنحائها وبذل جهده فى نشر العلوم وتوسيع التجارة والزراعة وقسم مملكته إلى أثنتين وسبعين ولاية .

كان سلوقس شجاعاً حازماً عادلاً محباً للعلوم والفنون ، ونشر العدل فى مملكته وسار مسيرة الإسكندر فى معاملة الراعية بالحسنى وأتخذ أفكاره وآرائه مرآة أعماله ، ولم يتعرض لديانة أهل البلاد ولا بعاداتهم بل أنه احترم جميع معبودات رعاياه وعقائدهم وعاداتهم حتى نال بذلك المترلة العليا فى قلوبهم، ولم يغير شيئاً من قوانين البلاد ونظاماتها بل أجرى الحكم بفارس وبابل وآشور وغيرها كما كان قبلاً، لكنه أبطل التواريخ التى كانت مستعملة فى أجزاء مملكته ووضع تاريخاً جديداً مبدأه سنة ٣١٢ ق م وهى التى تم أمره فيها ويعرف هذا بتاريخ السلوقيين .

أقام سلوقس أولاً ببابل ثم بنى على الضفة اليمنى من دجلة مدينة سماها سلوقية (ساليق سلفكية) وبنى لها سوراً حصيناً وشيد بها المبانى الحافلة والمصانع العظيمة والهياكل المرتفعة وجعلها عاصمة له وتبعد هذه المدينة ٦٣ ميلاً عن مدينة بابل وكانت تجاه اكتزيفون الشهيرة (أو تجاه مرقد سلمان الفارسى) ولما انتقل إليها هذا الملك انتقل معه كثير من سكان مدينة بابل وتهافت الناس عليها من كل جانب حتى صارت فى عهده وعهد حلفائه مركزاً لتجارة البر والبحر ومهداً للعلوم والفنون وتدفق منها يوم ذاك نور مدينة جديدة وزهت حتى محت اسم بابل ونبغ منها جماعة كبيرة من البابليين وغيرهم تلقوا فيها علوم اليونان وفلسفتهم

وآدابهم حيث أنتقل إليها عندما تم أمر سلوقس بجماعة من علماء اليونان وفلاسفتهم فأبتنوا المدارس فيها ونشروا العلوم والفلسفة ، وكان فى هذه المدينة يومئذ على ما ذكره بعضهم مجلس ملى مؤلف من ثلاثمائة نائب .

بقـــى سلوقس فى مدينة سلوقية أثنى عشر سنة (٣١٢ ق م — ٣٠٠ ق م) ثم تـــركها حينما صار له شمال سورية بعد واقعة أبسوس ورأى اليونان هناك أكثر عدداً مما هم فى بلاد بابل فبنى على نهر العاصى مدينة سماها آنتيوخس على اسم أبيه (ثم سميـــت انكاكيـــة) وانتقل إليها سنة ٣٠٠ ق م ، وأنقسمت منذ ذاك سورية قســمين الشــمالى للســلوقيين والجنوبى للبطالسة غير أن أعقاب سلوقس كانوا يدعون أن سورية كلها لهم وليس للبطالسة حق بجنوبها ولقبوا أنفسهم بملوك سورية فكان ادعائهم هذا سبباً للحروب التى امتدت بين الدولتين .

بـــنى ســـلوقس عدة مدن اشهرها سلوقية العراق التى سماها بعضهم ساليق تمييـــزاً من عدة مدن عرفت بسلوقية ، ومدينة آنتيوخس على نهر العاصى وسماها بعضهم سلوقية ، وفى آخر أيامه أراد أن يوسع ملكه فى الهند ففشل فى حملته عليها وأضـــطر إلى تســـليم ما كان له من البلاد هناك إلى أهلها ، ثم زحف على مقدونية سنة ٢٨١ ق م ، فقتل فى الحرب .



أعقاب

سلوقس والعراق

سنة ٢٨١ ق م – سنة ١٢٦ ق م

لما قتل سلوقس الأول جلس مكانه أبنه أنتيوخس الأول (٢٨١ ق م – ٢٦٣ ق م) ثم تولى أنتيوخس الثانى (٢٦٣ ق م – ٢٤٧ ق م) وفى عهد هذين الملكين ظهر الضعف فى الدولة بل أنها انحطت فى عهد الثانى وانفصل عنها كثير من البلاد كإمارة بخارى الحالية وبلخ والصفد (فى شمال أفغانستان) سنة ٢٥٥ ق م، وبقرطيانه سنة ٢٥٤ ق م، وفى عهده استقل زعيم البرتيين (الفرثيين) ارشك (ارشاس) بأقليم برتية (خراسان الحالية) سنة ٢٤٨ ق م، وأسس دولة البرتيين ثم استولى على هرقانية (مازندران) وضمها إلى ملكه.

وخلفه سلوقس الثانى وحكم إلى سنة ٢٢٧ ق م وتلاه الثالث إلى سنة ٢٢٢ ق م، ثم تولى أنتيوخس الثالث الملقب بالكبير إلى سنة ١٨٦ ق م، وكانت الدولة فى عهدهم تزداد انحطاطاً، وحاول أنتيوخس هذا فتح مصر فحمل عليها وبعد عدة وقائع عاد بالفشل سنة ٢١٦ ق م، ثم حمل بجيش جرار على البرتيين فدارت الدائرة عليه فأضطر للأعتراف باستقلالهم وحمل على الهند سنة ٢٠٥ ق م، ففشل أيضاً وأراد أن يزيل العار الذى لحقه من فشله فى غزواته فزحف على آسيا الصغرى سنة ١٩٦ ق م، فتداخل الروم فى الأمر ودارت بينه وبينهم حرب هائلة فى مجاز ترموبيلة انتهت بهزيمته سنة ١٩١ ق م، فطارده الروم إلى ليديا وكسروه

مــرة ثانيــة فصالحهم على نفقة الحرب وجميع بلاده التى فى آسيا مما وراء طوروس وذلك سنة ١٩٠ ق م ، ثم انسلخت أرمينيا من هــذه الدولة سنة ١٨٩ ق م ، وأخيراً مات هذا الملك قتيلاً سنة ١٨٦ ق م ، بعد أن قضى حياته بالحروب .

وأعقبه ابنه سلوقس الرابع وحكم إلى سنة ١٧٤ ق م ، ثم أنتيوخس الرابع إلى ســنة ١٦٤ ق م ، فحمل على مصر وتوغل فى الوجه البحرى فتداخل الروم فى الأمر وردوه عنها بدون حرب، وفى عهد هذا الملك استولى البرتيون على بلاد مــادى (مديــة) وعلى قسم كبير من شرقى إيران وزال الحكم السلوقى من تلك البلاد والظاهر أن الدولة السلوقية لم يبق لها شىء فى بلاد فارس أيام هذا الملك.

وخــلفه أنتيوخس الخامس وحكم إلى سنة ١٦١ ق م ، ثم ديمتريوس الأول إلى ســنة ١٥٠ ق م ثم إسكندر بعلاس إلى سنة ١٤٥ ق م ، والدولة تنحط يوماً فيوماً .



انقراض الدولة السلوقية اليونانية من العراق

جـــلس ديمـــتريوس الثانى على سرير الملك (١٤٥ ق م - ١٢٦ ق م) بعد اسكندر بعلاس فى يوم كانت الدولة فيه فى أسوء حال فلما كانت سنة ١٤٣ ق م ثـــارت الفتن بين أفراد الأسرة السلوقية فزاد الأضطراب فى الدولة فأغتنم البرتيون الفرصة فحملوا على بلاد بابل (العراق) فى السنة نفسها وأخرجوا السلوقيين منها وحـــاولوا أخذ سورية فدارت من أجل ذلك بين الفريقين حروب شديدة أنتصر فى آخـــرها السلوقيون وأسترجعوا بلاد بابل سنة ١٤٠ ق م فضل البرتيون يترقبون الفـــرص حـــتى تمكـــنوا مـــن الاستيلاء على بلاد بابل مرة ثانية سنة ١٣٨ ق م واستمرت الحروب بين الأمتين وصارت بلاد بابل ميداناً لتلك الحروب التى جلبت النوائب على أهل البلاد وتمكن السلوقيون سنة ١٣٠ من قهر البرتين وطردهم من العـــراق ثم طـــاردوهم إلى غربى إيران وهناك دارت الدائرة على السلوقيين وقتل مـــلكهم سنة ١٢٦ ق م (وفى رواية سنة ١٣٠ ق م) فعاد البرتيون إلى بلاد بابل وفـــتكوا بأهل مدينة سلوقية لأنهم أعانوا السلوقيين وتحزبوا لهم وظل العراق تحت سيطرة الدولة البرتية الفارسية ٣٥٢ سنة من سنة ١٢٦ ق م إلى سنة ٢٢٦ بعد الميـــلاد فأنقرضت على يد أردشير بن بابك مؤسس الدولة الساسانية الفارسية التى فرضـــها المسلمون انقرضت الدولة السلوقية من العراق بعد أن ملكته ١٨٦ سنة

مــــن سنة ٣١٢ ق م إلى سنة ١٢٦ ق م ، وظلت تحاول استرداده مدة من الزمن وأخـــيراً يئست منه واشتغلت بحروب أخرى انهكتها وظلت تتقلص حتى أنقرضت ســـنة ٦٤ ق م ، وأســـتولى الروم على بلادها بعد أن عاشت ٢٤٨ سنة من سنة ٣١٢ ق م إلى سنة ٦٤ ق م كما تقدم .



الدولة العيلامية أو الدولة الفارسية الأولى

فى العصـــور الواغلة فى القدم كانت أمة من الفرس تعرف بالأمة العيلاميـــة أو العيلاميين تسكن فى الأقليم المعروف الآن بخوزستان المسمى قديماً ببلادعيلام[١] وكـــان لهـــا يـــوم ذاك مترلة رفيعه بين أمم الشرق وقد سماهم العرب ببنى غليم . وكـــانت مملكـــتهم محاطة ببلاد الكدان وبلاد مادى (ميدية) وبلاد فارس وتحتوى على عدة مدن أشهرها مدينة شوشن أوشاشان القديمة [٢] عاصمة تلك المملكة إلا أنها كانت أحياناً تتوسع وأخرى تتقلص وأونه تخضع لسيادة جارتها مملكة أور التى فى جنوبى العراق .

ولمجاورتها لجنوب العراق كانت لها عدة روابط مع هذا القطر ولكنها لم تكن لـــتطمع فى جارتها القوية حتى إذا ما ضعفت مملكة أور الشهيرة فى التاريخ وآنس العيلاميون فى أنفسهم قوة طمعوا بأرضها الخصبة الكثيرة الخيرات فحملوا عليها فى القـــرن الـــثالث والعشـــرين قـــبل الميلاد وبعد حروب جرت بين الأمتين استولى العيلاميـــون على مملكة أور ودخلوا عاصمتها (أور) وأسروا ملكها أبى سين (أيبى

---

(١) ويعـــرف بعربســـتان ولورستان وجبال البختارية أيضاً وسماه العرب بلاد الأهـــواز وعرفة اليونان بأسم ديوس بوليس وهو اليوم جزء من مملكة إيران .

(٢) وتسمى شوش والسوس وسستر وتستر وشوشتر وهى ششتر الحالية .

سبين) بن جبل سبين أخر ملوك السلالة الثالثة [١] لملوك أور وساقوه أسيراً إلى عاصمتهم شوشن وأستولوا على جميع مدن تلك المملكة وقرضوها بعد أن كانت مستقلة فى جنوبى العراق أو صقع شمر (سومير) ولها سطوة كبيرة وسيادة مبسوطة وكان لعاصمتها مدينة أور حينذاك منزلة رفيعة عند العراقيين لعظم مركزها الدينى بل أنها كانت معهداً للدين ومهداً للتجارة ومركزاً للصنايع والفنون وفيها هيكل انون ماخ المرصود للآله القمر ورفيقته الذى خرب فى هذه الحادثة .

أستولى العيلاميون على جنوبى العراق أو على مملكة أور الكلدانيين بعد حروب دامت بينهم وبين الكلدانيين فى الوقت الذى كان فيه العراق منقسماً إلى قسمين . القسم الجنوبى المسمى بمملكة أور أو ببلاد الكلدان أو كلدو. والقسم الشمالى المعروف بمملكة بابل أو بلاد بابل [٢] وكان كل قسم مستقل بنفسه غير أن الجنوبى كان قد فاق الشمالى بالمدينة والعمران وأشتهر بالتجارة والزراعة والفنون .

وبعد أن تم أمر تلك الأمة الفارسية فى الجنوب حاولت الاستيلاء على الشمال ولكنها عادت بالفشل بعد أن تمكنت بهجامتها من دخول مدينة أوروق (الوركاء) التى هى من البلاد الشمالية أو من مملكة بابل الراضخة لحكم السلالة السامية أو الدولة البابلية الأولى التى أسسها ساموابى سنة ٢٤١٦ ق م (ويروى سنة ٢٤٦٠ ق م) ونهبت كنوزها وآثارها من جملتها تمثال الالاهة نانا شفيعة مدينة أوروق وأرسلت الجميع إلى شوشن وأودعت هذا التمثال فى هيكلها .

---

(١) يقال أن هذه السلالة نشأت حوالى الآلف الثالث قبل الميلاد أسسها الملك رانكور .

(٢) لم يطلق اسم كلدوا أو كلدانية أو بلاد بابل على جميع العراق إلا بعد أن أسس الملك بنو بلاصر الدولة البابلية الثانية سنة ٦٢٦ ق م (وقبل سنة ٦١١ ق م) .

بقـــى جـــنوبى العـــراق فى قبضة تلك الأمة الفارسية حتى قام سادس ملوك الدولـــة البابلية الأولى أو الدولة السامية الملك الجليل حمورابى (٢٢٨٧ ق م — ٢٢٣٢ ق م) فحمـــل عليهم بجنوده وطردهم من هذا القطر ولم يكتف بذلك بل أنـــه طاردهم حتى دخل عاصمتهم شوشن ولم يعد إلى مقره إلا بعد أن أخضع تلك الأمة لسيادته وأرجع تمثال الالاهة نانا إلى هيكل مدينة اوروق [١] .

هـــذا مـــا وقفـــنا عليه من بين الأبحاث التاريخية الحديثة المستندة إلى الآثار المستخرجة من مواقع المدن العراقية القديمة . غير أن المؤرخين قد اختلفوا فى السنة الـــتى استولى العيلاميون فيها على مملكة أور فمن قائل أنهم قرضوا السلالة الثالثة الـــتى نشأت حوالى الألف الثالث قبل الميلاد التى أسسها الملك اورانكور وأسروا آخـــر ملك من تلك السلالة الملك أبى سين سنة (٢١٥٠ ق م) ومن قائل أن هذه الحادثة وقعت سنة (٢٣٠٠ ق م) وبزعم بعضهم أنهم قرضوا تلك المملكة ســـنة (٢٢٨٥ ق م) ويقول آخرون كانت هذه الغارة سنة (٢٢٩٥ ق م) .

كذلك أختلفوا فى أسم الملك العيلامى الذى قاد تلك الحملة فبعضهم يقول أنه الملك كوتارناحونتا ويزعم بعضهم أنه الملك ريمسين .

أمـــا الـــذى يظهر من سير الحوادث التاريخية فهو أرجحية قول القائل بأنهم قرضـــوا تـــلك المـــلكة (مـــلكة أور) سنة ٢٢٩٥ ق م ، وأن من جملة الملوك العيلاميين الذين حكموا ذلك الصقع كوتارنا حونتا وريمسين ونبورياس .

ولم تحكـــم الدولـــة العيلانية جنوبى العراق غير مدة وجيزة فطردهم الملك حمـــورابى عـــندما قويت شوكته وملك العراق كله ولم يقف عند ذلك الحد بل أنه

---

(١) وفى رواية ان أسوربنيبال ملك أشورية هو الذى استرجع صورة الالاهة نانا إلى مقرها فى أورق (أوروك) حيـــنما حـــارب العيلاميين واستظهر عليهم سنة ٦٤٥ م ، ومن المحتمل أنهم نهبوه مرة ثانية فى إحدى الغزوات فأعاده أسوربنيبال.

أخضعهم لسيادته كما تقدم وليست هذه المرة الأولى التى خضع فيها العيلاميون لملوك العراق بل أنهم خضعوا مراراً لسيادة ملوك هذا القطر فى أزمان مختلفة . ومن ذلك أن الملك سرجون الاكدى السامى الذى ملك سنة ٢٨٧٢ ق م ، وكان قد أدخلهم تحت سيادته .

وأن الملك أناتوم الذى ملك سنة ٣٩٠٠ ق م [١] حاربهم وأخضعهم لحكمه [٢] .

بيت المهدين

بعد أن اعتز العراق دهراً طويلاً فى عهد الدولة البابلية الأولى التى جمعت شمله ووحدت كلمته وأعلت شأنه أنعكس الأمر عند سقوط تلك الدولة وأضطربت شؤون العراق وأصبحت البلاد منقسمة على نفسها أى صارت عدة ممالك أو دول صغيرة عديدة كل دولة قائمة بنفسها وكثيراً ما كانت البلاد تنتقل من سلالة إلى أخرى ومن بيت إلى آخر ثم أشتد الخلاف بين أهل البلاد وطمع بهم أعداؤهم فعاد العيلاميون إلى طمعهم فى جارهم وأعلنوا الحرب عدة مرات على أهل هذا القطر وشنوا الغارة على المدن العراقية فى أزمان مختلفة ونهبوا بعض المدن وفتكوا بأهلها ومن تلك المدن نبور واوروق . ومن ملوكهم الذين أغاروا على

---

(١) هو أحد ملوك لا كاش أو لجش .

(٢) ولم تكن ديانة العيلاميين حينئذ تختلف عن ديانة الكدانيين فى شىء عن عبادة الكواكب السيادة التى أتخذت لها الامتان تماثيلا وبنوا لعبادتها الهياكل العظيمة فى المدن وقد كان الأله شمسا (الشمس) والأله القمر وغيرهما يعبدون فى مدن العيلاميين كما يعبدون فى مملكة اور .

العــراق الملك شتروك ناخونتا فأنه شن الغارة على هذا القطر سنة ١١٩٠ ق م ، وغــنم غــنائم نفيســة من البلاد من جملتها شريعة حمورابى فأنه نقلها إلى عاصمته شوشــن . وكــثيراً ماكــان العيلاميــون يتفقون مع بعض تلك الدول الصغيرة ويعضدون ملوكها خصوصاً الممالك التى فى حنوب العراق القريبة منهم وكانوا فى بعــض الأحيــان يتدخلون فى الأمور المهمة المتعلقة بالملوك ويجلسون على عروش الممالك من يوافق على مصالحهم ومنافعهم أو من يعقد معهم اتفاقية يرضونها .

ولمــا أســتحكم الشــقاق بــين أهل البلاد واختفت كلمتهم حمل عليهم الأشــوريون [١] وخضعوهم لسيادقم وظلوا تحت سيطرقم قروناً جرت فى خلالها حــوادث خطــيرة وانقلابات غريبة حتى قامت الدولة البابلية الثانية التى أسسها نبوبلاصــر ودامــت (٦١١ ق م — ٥٣٨ ق م) فلم تم شمل البلاد وعاد العز والاقــبال إلى هذا القطر وعلا شأنه فى عهد الملك نبوكد نصر (بختنصر الثانى) غير أن شمــس ذلك العز افلت بظهور كورش الفارسى الذى قرض تلك الدولة بعد أن عاشت ٧٣ سنة تقريباً .



---

(١) كــان الاشوريون تحت سيادة البابليين ولكنهم تمكنوا أخيراً من التخلص منها ثم قويت شوكتهم وصارت لهم دولة عظيمة أشتهرت فى التاريخ وقام منهم ملوك عظام أخضعوا لحكمهم بلاد بابل وغيرها . أما أصلهم فأنهم فرع من أهل بابل أو الكلدان وكانوا قد نــزحوا إلى ذلــك القطــر وظلوا قروناً تحت حكم الكلدان ثم استقلوا إدارياً وظلوا خاضــعين لسيادة الكلدان حتى إذا ما ضعف أمر البابليين استقلوا تماماً ولم يمض زمن طويــل حتى صارت لهم دولة كبيرة اخضعت عدة أقطار وخلدت لها ذكراً عظيماً فى التاريخ القديم .

الدولة الكيانية

أو

الدولة الفارسية الثانية للعراق

سنة ٥٣٨ ق م - سنة ٣٣١ ق م

فى أواسط القرن السادس قبل الميلاد سنة ٥٥٢ ق م أو سنة ٥٥٠ ق م ظهر أرمركورش الثانى الملقب بكورش الأكبر بن قنبوسيا فنهض بقومه الفرس وأخضع الميديين [1] والعيلاميين بعد أن دانت له فارس فتوج ملكاً وأصبح إمبراطورياً على هذه الأقاليم الثلاثة (فارس وميدية وعيلام) وأسس دولة الكيانين

---

(١) الميديون سكان مديا أو ميدية أو بلاد مارى ويقال ماذى وهى التى عرفت أخيراً بأذربيجان والعراق العجمى معاً ويقال لها مدية أيضاً ويسمى هذا الأقليم بلاد الجبل أيضاً ومن أقسامها شهر روز وحلوان . وهم أى الميديون من الجنس الأرى أخوان الفرس والأفغان والأرمن وغيرهم من الأريين ومن بقاياهم الآن الأكراد . وكان لهم دولة قديمة كبيرة خضع لحكمها الفرس مدة ثم استولى عليها كورش وصارت جزءاً من بلاد فارس .

المشهورة . وعلى أثر ذلك تحالفت مملكة بابل ومصر ولديا [١] على هذا الفاتح فلم يغــن تــلك الممالك ذلك التحالف الثلاثى لأن كورش حمل بجيوشه الفراسية على الليديين أولاً وقرض دولتهم سنة ٥٤٦ ق م ، وتوغل فى آسيا الصغرى إلى مملكته بــلاد مســتعمرة الإغريق التى كانت على شواطىء آسيا الصغرى ثم فتح بخارى ومــرو وديــار الأفغان وبلوبجستاك ثم حول نظره إلى مملكة بابل فحمل عليها سنة ٥٣٨ ق م ، بجيش جرار فخرج للدفاع بلطشاصر بن الملك البابلى بنو ناهيد وبعد عــدة معــارك انكسرت فى جميعها الجنود البابلية وقع بلطشا حر قتيلاً فى المعركة الأخيرة وانهزمت جيوشه وتحصنت فى عاصمة الملك مدينة بابل فالقى الحصار عليها كــورش بعد أن استولى فى طريقه على عدة مدن وبعد حصار طويل دافع فى خلاله البابــليون دفاع الأبطال استولى كورش على بابل عنوة وأسر الملك نبوناهيد وأهله وساقهم إلى كرمان [٢] .

وعــلى أثــر سقوط مدينة بابل عاصمة العراق سلمت جميع المدن العراقية لكــورش فى السنة نفسها (سنة ٥٣٨ ق م) وانقرضت الدولة البابلية الثانيــة أو المملكة الكلدانية على يد الفاتح بعد أن دامت ٧٣ سنة كما تقدم .



ـيــا أو ليديــا تطــلق على أقليم الأناضول الغربى . وهى قطعة كبيرة فيها بلاد كثيرة وكــانت عاصــمتها مدينة سارد وقد استولى على هذه المملكة كورش فجعلها عدة إمارات ثم استولى عليها الإسكندر ثم السلوقيون ثم الروم .

[٢] ومات نبوناهيد بعد أيام قليلة فى الأسر وكان ضعيف الرأى سىء التقدير .

كورش والبابليون

دخـــل كورش مدينة بابل – كما يقول المؤرخون دخول منقذ مصلح – فلاقـــاه أهـــلها بالتهليل والتصفيق – شأنهم مع كل فاتح – واستقبلوه بالترحيب والســـرور – وتـــلك عـــادتهم مـــع كل قوى – فأظهر لهم الولاء والرقة والرأفة وجامـــلهم وعطـــف عليهم ووالاهم وسايرهم وبالغ فى احترام دياناتهم وعاداتهم واميـــالهم وأطـــلق لهـــم الحرية التامة فى العالم والعمل والدين وأبقى قوانين البلاد وشـــرائعها على حالها وأقتدى بملوكهم الأولين فدخل هيكل الأله بيل ومسك بيده وقرب للآلهة القرابين وقدم لهم التحف (١).

وأتخـــذ لقب ملك بابل لنفسه وعمل كل ما من شأنه أن يجذب إليه قلوب البابـــليين ولم يخرب شيئاً من بلادهم لذلك لم يسقط من مدن العراق شيء وبقيت مدنـــه جميعها زاهرة عامرة من جملتها مدينة أور فأنها كانت فى عهده عامرة زاهرة ولكنها كانت حينذاك من أصغر المدن العراقية ومع ذلك فأن كورش سعى لتجديد بعـــض هياكـــلها وقام بعمل فى سبيل خدمة هيكل الأله القمر (آله أور) وقد وجد الـــنقابون أخيراً فى اطلال هذه المدينة (سنة ١٩٢٣م) آجرة كتب عليها اسم هذا الفـــاتح أســـتدلوا منها على أنه عمر وجدد هذا الهيكل ويقول بعض المؤرخين أنه

---

(١) فعـــل ذلك كورش وهو على دين زردشت الذى ظهر بين القرن العاشر والسابع قبل الميلاد وعمله هذا يدل على أنه كان على جانب عظيم من الدهاء والسياسة الرشيدة التى بها تسوس الحكومة العناصر المختلفة .

جـــدد عـــدة هياكل كانت فى مدن العراق وأرجع كلاً إلى موضعه من تماثيل الآلهة الـــتى كـــان قد جمعها فى مدينة بابل الملك نبونا هيد من المدن العراقية أثناء الحرب لتنصره على كورش.

ولم يشتهر كورش بسياسته الرشيدة ومراعاته عواطف الشعوب واحترامه لديانتهم وعاداتهم وأميالهم فحسب بل أنه أشتهر بتنشيط التجارة وتوسيع الزراعة كمـــا أشتهر بالفتوحات والأنتصارات لذلك تمتع العراقيون فى عهده بالحرية التامة وكـــثرت ثـــروة بلادهم واتسع نطاق الزراعة فى أرضهم بما حفره هذا الملك من الترع والأنهار وما بثه من العدل والأمن فى أنحاء البلاد ومن أجل ذلك أحبوه كثيراً حـــتى أن أكثرهم تجندوا وقاتلوا فى الحروب تحت رأيته مع أن سكان البلاد كانوا حينذاك قد قل عددهم على ما يقوله بعض المؤرخين .

وبعـــد أن تم أمر كورش فى العراق أناب عنه نائباً فيها أحد قواده وضرب عـــليها خراجاً معلوماً (ضريبة سنوية) وسار بجيوشه قاصداً فتح سورية فأفتتحها ثم أفتـــتح فلســـطين " سنة ٥٣٦ ق م " وعلى أثر فتحه فلسطين أصدر أمراً بإطلاق حـــرية اليهـــود الماســـورين فى بابل من عهد الملك بختنصر وأذن لهم بالرجوع إلى وطـــنهم أورشـــليم وفى بناء الهيكل بعد أن داموا بالأسر أعواماً ذاقوا فيها أنواع المصـــائب وضروب النوائب وولى على فلسطين زربابل أحد أحفاد يهوياكيم ولقبه بـــلقب (بهـــا) أى الحـــاكم بالفارسية ، فسار من العراق نحو الستين ألفاً منهم إلى وطنهم وأختارت جماعة كبيرة منهم السكنى فى العراق .

ومات كورش [١] ذلك الفاتح العظيم والسياسى الكبيرة " سنة ٥٢٩ ق م ".

---

(١) ويسمى قورش وقيروش وكيروش وسماه بعضهم كنجسرو . وكانت عاصمته شوشن .

بعــد أن أسس الدولة الكيانية الفارسية العظيمة وأعلا شأن الفرس وترك لأعقابــه مملكة تضم بلاداً كثيرة وإمارات جسيمة وتمتد من شواطئ البسفور غرباً إلى نهر السند شرقاً . وكان سبب موته أنه أراد تدويخ قلب آسيا فجرح فى معركة فى محــل قــريب مــن أحد ضفتى سرداريا (نهر سيحون الذى يسميه الأقدمون يكسرتس) ومات من أثر ذلك الجرح بعد أن حكم ٢٩ سنة .

ثورة البابليين الأولى

تولى عرش الدولة الكيانية بعد كورش أبنه الأكبر قمبيز[1] (٥٢٩ ق م - ٥٢١ ق م) وكــان سلوكه كسلوك أبيه مع البابليين ومن أجل ذلك أحبوه كما أحــبوا أباه قبله وأحترموه ولم يحدث فى أيامه بالعراق ما يكدر جو السياسة أو ما يخل بنظام البلاد وإدارالها .

فلما مات قنبيز حين عودته من مصر قاصداً بلاد مادى التى أجلست على سريرها برديا [2] اضطربت شئون الدولة الفارسية وطمع بها أمراؤها وكثرت فيها الفــتن الداخلية فأغتنم البابليون فرصة ذلك الانقلاب فثاروا على الفرس الذين فى

(١) ويســمى قامــبيز وكمــبيز وقنباسوس وقنبوسيا وكمبوزيا وقمبوسيوس وقمباسوس وقامبوجيا . ويسميه اليونان كمبوس وسماه بعضهم كيكاوس .

(٢) وسماه بعضهم غوماتو وبعضهم غاماليس وآخرون سمرديس أو سمرديز ويروى أنه كان كاهناً فأغتصب الملك فى ميدية وقبل هو أحد الحكام الفرس .

بلادهـــم فقتـــلوهم وأعلنوا الاستقلال وملكو عليهم أحد أعقاب الملك نبونا هيد المدعـــو ندين توبيل (ندين تايل) وأجلسوه على سرير بابل فلقب هذا الملك نفسه نبو كد نصر الثالث وأعلن الاستقلال التام وأستعد للدفاع عن بلاده غير أن ذلك الاســـتقلال التام لم يدم غير سنتين تقريباً (٥٢١ ق م — ٥١٩ ق م) لأن الفرس أجـــتمعت كلمـــتهم عـــلى دارا الأول (٥٢١ ق م — ٤٨٥ ق م) فقمع الفتن الداخـــلية ودع الأمراء الطامعين بالملك واستتب أمره فى البلاد ثم زحف على بلاد بابل بجيوشه الفارسية .

دارا الأول

حمـــل دارا عـــلى بابل فخرج لملاقاته ملكها ندين توبيل بجيوشه العراقية والتقى الملكان بالقرب من دجلة فى أراضى أشورية فأنكسر الجيش العراقى وأضطر إلى الانســـحاب فعـــبر دجلة ونزل على ساحل الفرات فلحقه دارا وهناك حدثت حرب شديدة انخذل فى آخرها البابليون وأنهزموا إلى عاصمتهم مدينة بابل وتحصنوا فيهـــا . أما دارا فأنه جد بالمسير بعد ذلك النصر حتى ألقى الحصار على مدينة بابل فدافع ملكها ومن معه دفاع المستميت أياماً حتى عجزوا عن مقاومة الفرس لكثرة عددهم وعددهم فسقطت عاصمتهم سنة (٥١٩ ق م) ودخلها دارا ظافراً وقتل مـــلكها ندين توبيل الملقب نبوكد الثالث الذى لم يملك غير سنين تقريباً قضاهما فى إعداد المعدات الحربية دفاعاً عن حقه الصريح وحفظاً لاستقلال بلاده .

سقطت بابل فسلمت جميع المدن العراقية لدارا وخضع الحضر والبدو له . وبعـــد أن نظـــم شؤون البلاد ولى عليها حاكماً عاماً أحد قواده المسمى زوبيروس (زبـــورا) وعـــاد إلى مقـــره ورجعت الأمور كما كانت فى عهد كورش وأشتغل العـــراقيون بالـــتجارة والـــزراعة وزادت ثروة بلادهم وعاشوا فى بحبوحة الأمن

والسـعادة تحت رأية دارا الأول المشهور بالعدل وحب العمران والولوع فى كل مايرقى التجارة وينشط الزراعة ويجلب الخير والسعادة إلى رعاياه .

ثورة
البابليين الثانية

مـات دارا الأول فتولى عرش الفرس ابنه سرخس الأول (٤٨٥ ق م — ٤٦٥ ق م) فخضع لسلطانه البابليون بادئ بدء ثم ثارو عليه سنة (٤٨١ ق م) وقتلوا حاكمهم الفارسى زوبيروس الذى ولاه دارا وأعلنوا الاستقلال — غير أنا لم يصـلنا سـبب ثورتهم هذه ولا أسم الملك الذى اجلسوه على عرش مملكتهم — فجهز لهم سرخس جيشاً كثيفاً بقيادة مغابير (مكاميز) ابن زوبيروس المقتول فحمل عـليهم هذا القائد وبعد حروب انتصر عليهم وأستولى على عاصمتهم مدينة بابل وفـتك بأهلها فتكاً ذريعاً ونهب هيكل الآلهة وأمر بهدمه وقتل رئيس كهنته وحمل خزائـنه وتماثيلـه إلى خزائن سرخس وأسر عدداً كبيراً من ذوى الوجاهة والثروة والشرف واستعمل منتهى الشدة والعنف واضهد أهل البلاد فخضعوا للقوة وظلوا خاضعين بعد تلك النكبة للفرس ولم تبد منهم أدنى حركـة أو ثـورة فى

عهد هذا الملك [١] وعهد خلفائه أردشير الأول [٢] (٤٦٥ ق م — ٤٢٤ ق م) وسرخس الثانى[٣] (٤٢٤ ق م — ٤٢٣ ق م) ودارا الثانى [٤] (٤٢٣ ق م — ٤٠٥ ق م) وأردشير الثانى الملقب منه مون (٤٠٥ ق م — ٣٥٨ ق م) الذى قاتله اخوه كيخسرو على الملك بمساعدة اليونان ففشلوا وعادوا إلى بلادهم وسميت رجعتهم رجعة الأثنى عشر ألف [٥] وأردشير الثالث [٦] (٣٥٨ ق م — ٣٣٨ ق م) ودارا الثالث (٣٣٨ ق م — ٣٣١ ق م) الذى سماه بعضهم قودومان ولم تحركهم الاضطرابات الداخلية ولا ضعف الدولة الفارسية خصوصاً فى عهد الملك الأخير دار الثالث الذى تبوأ عرش المملكة فى وقت كانت فيه الدولة الفارسية ضعيفة جداً من توالى الأضطرابات والفتن فيها .

---

(١) سرخس الأول يقال قتله أحد قواده المدعو آرتابانوس على أثر إنكساره فى حرب اليونان .

(٢) يسميه بعضهم ارتجزرسيس الأول وبعضهم ارتحشتا وارتخشيارش وعدوه من حكماء الفرس وعلمائهم وقد نقل للعرب عنه حكماً كثيرة إلى العربية وسماه بعضهم آزدشير وكان يلقب درازدست .

(٣) يسميه بعضهم اكزرسيس الثانى .

(٤) واسمه اوخوز أو أوغوس ويروى أنه تولى بعد صغديان الذى خلف سرخس الثانى .

(٥) على ان هذه الدولة — الكيانية — كثيراً ما كانت تعلن الحرب على اليونان طمعاً فى بلادهم ولقد قامت بين الدولتين عدة حروب أشتهرت فى التاريخ القديم لا محل لذكره فى هذا المختصر .

(٦) ويعرف باخوس ايضاً ويروى أن خلفه آرساس ثم تولى بعد ارساس دارا الثالث

انقراض
الدولة الكيانية الفارسية
وقيام
الدولة اليونانية

لم يتخلص العراقيون من الاستعمار الفارسي حتى حمل الإسكندر المقدوني على مملكة الفرس فى عهد دار الثالث الذى جلس على سرير الملك فى الوقت الذى كانت فيه الدولة الفارسية فى اضطراب مستمر فزادها هذا الملك ضعفاً واضطراباً لعدم كفائته وقلة تجاربه فأنقرضت تلك الدولة العظيمة على يد بطل اليونان الإسكندر بعد ثلاثة وقائع مشهورة الأولى وقعة الغرانيق التى حدثت سنة ٣٣٤ ق م والثانية وقعة أسوس[١] التى جرت سنة ٣٣٣ ق م والثالثة معركة أربيلا [٢] التى وقعت ٣٣١ ق م وهى التى قضت على تلك الدولة وقرضتها من العراق بعد أن فتح الإسكندر من الفرس جميع ما كان لهم من البلاد والمستعمرات عدا بلاد فارس التى استولى عليها بعد فتح العراق ومحيى تلك الدولة من عالم الوجود .

بعد أن انقرضت الدولة الكيانية الفارسية العظيمة المجد المترامية الأطراف على يد الإسكندر وتم الأمر فى العراق لليونان بعد وقعة أربيلا ثم دانت لهم بلاد فارس بعد قتل دارا الثالث بقى العراق تحت حكم الإسكندر ثم انتقل إلى خلفائه

---

(١) أسوس مدينة بكلسيكيا .

(٢) أربيلا هى أربل أو أربيل الحالية وهى قديمة جداً .

السلوقيين وكانت مدة حكم اليونان فى العراق (٢٠٥) سنوات ٣٣١ ق م — ١٢٦ ق م ، وذلك منذ أن افتتحه الإسكندر إلى انقراض الدولة السلوقية اليونانية على يد البرتيين الفرس .

تتمة لما سبق

كانت بلاد العراق (مملكة بابل) فى عهد الدولة الكيانية مربوطة باتاوه تدفعها للدولة الفارسية كغيرها من الولايات وكان لها حاكم عام مطلق يدير دفة السياسة والإدارة والحرب معاً ويولى العمال على المدن وكان لكل مدينة مجلس قضائى يسير على ما جاءت به شريعة البلاد لأن هذه الدولة كانت قد أبقت قوانين البلاد رجالاً وشرائعها وعاداتها على حالها . وكانت فى الغالب تولى على الالايات رجالاً من العائلة المالكة وتخول لهم السلطة التامة وكان الحاكم الذى يتولى إحدى الأقاليم يسمى سائراب وفى رواية أنها كانت قد جعلت فى كل ولاية ومدينة هيأة عدلية مؤلفة من جماعة أكثرهم من كهنة الفرس .

أما الدين الرسمى للدولة الكيانية فهو دين زردشت أو زورواستر أو زرادشت الذى ظهر فى الفرس بين القرن العاشر والسابع قبل الميلاد وأدعى النبوة وأنه مرسل من الله وأنه جاء من عنده بكتاب سماوى ، وقد جاء زردشت بقوانين دينية ونظامات سياسية ومدنية ووضع لقومه كتاباً سمى الزاندافستا ضمنه جميع تعاليمه وإرشاداته الدينية وعلى توالى الأعوام أصبحت شريعته رسمية فى بلاد فارس وترك الفرس ديانتهم القديمة التى كانوا عليها منذ العصور الواغلة فى القدم وهى عبادة القوى الطبيعية المختلفة وخاصة الشمس . ولا يسعنا هنا ذكر ما جاءت به شريعة

زردشت وما يعتقده اتباعها وما حدث عليها أخيراً من التغيير والتحرير والتحريف. غير أن هذا الدين لم ينتشر فى العراق أيام الكيانيين لأنهم لم يجبروا أحداً على أعتناقه ولـــذا لم يعتـــنقه أحـــد من أهل هذا القطر وظل منحصراً فى الجالية الفارسية التى اســـتوطنت البلاد حتى جاءت الدولة اليونانية ثم الدولة البرتية ثم الساسانية فكثر اتباع هذا الدين من الفرس لتوالى الدول الفارسية على هذه البلاد فلما جاء العرب المســـلمون قرضوه بالتدريج كما قرضوا البقية الباقية من ديانة البابليين " الوثنية " التى قرضتها النصرانية تقريباً قبل الفتح الإسلامى .



الدولة البرتية

أو

الدولة الفارسية الثالثة

في العراق

سنة ١٢٦ ق م – سنة ٢٢٦ بعد الميلاد

عـــندما ضـــعفت الدولـــة السلوقية اليونانية التى قامت على انقاض دولة الإسكندر الذى قرض الدولة الكيانية اغتنم البرتيون[1] فرصة ضعفها فنهض فيهم زعـــيمهم أرشك " إيشك : ارشاق " فأجتاح بقومه بلاد البرتيين سنة ٢٥٠ ق م وخـــرج على السلوقيين ثم أعلن استقلاله سنة ٢٤٨ ق م وأسس الدولة البرتية[2] .

---

(١) الـــبرتيون هـــم ســـكان البلاد الجبلية التى فى شرقى بحر قزوين وجنوبيه . ولما كانت بلادهـــم قاحـــلة كـــانوا يعيشون عيشة بدوية متنقلين فى الجبال الواقعة بين هرقانيا ومـــرجيانا وكـــانوا قد خضعوا لحكومات مختلفة للأشوريين ثم للميديين ثم للفرس ثم لإســـكندر الكبير ثم للسلوقيين ثم استقلوا وصارت لهم على توالى الأعوام دولة كبيرة وقد عرفهم العرب بالفرس بفتح الفاء تمييزاً لهم عن الفرس (بضم الفاء) الحقيقيين .

(٢) عرفت بهذا الأسم نسبة إلى أقليمهم الأول أو بلادهم الأصلية وهى برتية أعنى خراسان الحالية وعرفت أيضاً بالدولة الأرشكانية نسبة إلى زعيمهم ومؤسس دولتهم ارشك . يقول بعضهم أنه أسس هذه الدولة سنة ٢٥٥ ق م واستقل ببلاد فارس كلها فى السنة نفسها .

ومات فى السنة التى أعلن استقلاله فيها [1] وظل أعقابه يوسعون مملكتهم بما كانوا يفتحونه من بلاد الدولة السلوقية حتى أصبحت دولتهم واسعة الأطراف . ثم حملوا على العراق سنة ١٤٣ ق م وبعد حروب استمرت أعواماً بين الأمتين " البرتيون واليونان " وجلبت على هذا القطر الذى صار ميداناً لتلك الحروب حينذاك أنواع النوائب ثم تم أمر البرويتين فى العراق سنة ١٢٦ ق م فى عهد ملكهم مهرداد السادس (١٧٥ ق م - ١٢٦ ق م) [2] وأتخذوا مدينة سلوقية التى بناها

---

(١) ولم يحكم غير سنة واحدة على ما رواه الثقات غير أن بعضهم يزعم أنه حكم خمسة عشر سنة وذكر آخرون أنه ملك أثنتين وعشرين سنة قضاها فى توسيع ملكه ثم مات قتيلاً فى إحدى المعارك ، وقد اختلفت الروايات فى نسبه وكيفية قيامه وتأسيس حكومته فمن قائل أنه من نسل دارا ومن قائل أنه من طبرستان وكان قائداً عاماً على بلخ من قبل السلوقيين فلما عزم على تأسيس حكومة وطنية فى طبرستان توجه إليها وجمع قومه وثار على الملك السلوقى أنتيوخوس فأرسل السلوقى لقتاله جيشاً ثم سار هو بنفسه وبعد معارك انتصر أرشك وتمزق الجيش السلوقى ووقع آنتيوخوس قتيلاً فى المعركة الأخيرة فلما رأى أمراء بلاد فارس انتصار أرشك انضموا إليه جميعهم بعد أن أشترطوا عليه أن يكون لكل واحد منهم أستقلالاً إدارياً فى منطقته ويكون هو الرئيس على الجميع وعلى أثر ذلك أتخذ أرشك مدينة الدامغان التى هى من مدن طبرستان عاصمة له . ومن قائل أنه هجم بقدومه على الوالى السلوقى أغا توكليس فقتله وتولى مكانه سنة ٢٥٠ ق م ثم حمل على هرقانيا وأستولى عليها وحاول الملك السلوقى انطيوخوس ناؤس اخضاعه واخماد تلك الثورة ففشل وعلى أثر ذلك سار أرشك بجيش كبير إلى قتال السلوقيين والبختريانيين فأنحاز إليه أهل بختريانة فأنتصر على السلوقيين وطردهم من بلاد فارس ومادى .

(٢) وزعم بعض المؤرخين أن الذى أخذ العراق من السلوقيين مهرداد الأول ، والرواية ضعيفة .

سلوقس الأول اليونانى على الضفة اليمنى من دجلة عاصمة لهم بعد أن فتكوا بأهلها لتحزبهم للسلوقيين ثم ابتنوا مدينة تجاه سلوقية على الضفة اليسرى من دجلة وسموها قطيسفون وجعلوها عاصمة لهم بدلاً من سلوقية فسمى العرب هذه المدينة طيسفون وسماها اليونان اكتسيفون .

شكل

حكومة البرتيين

كان نظام الدولة البرتية يختلف باختلاف الأقوام والأقاليم وكانت تنقسم إلى ممالك صغيرة أو مقاطعات مستقلة ولكل واحدة منها ملك يحكم عليها ويخضع للملك البرتى المقيم فى اكتسيفون فهى والحالة هذه أشبه بالولايات المتحدة . ومن تلك الممالك الصغيرة التى كانت فى العراق إمارة ميشان التى كانت فى موقع البصرة ، وإمارة حطارا التى كانت قرب تكريت وإمارة حديلى التى كانت أرض الموصل وما يجاورها أى بين الزابين وتمتد إلى الشرقات وإلى نصيبين وقاعدها أربيل، وإمارة الحيرة المشهورة التى كانت فى موقع أبى صخير وهى حكومة عربية أسسها مالك بن فهم التنوخى سنة ١٣٨ م [١] .

---

(١) هو مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدنان من الأزد، أول ملك على العرب بأرض الحيرة، أصله من قحطان ، هاجر من اليمن بعد سيل العرم فى جماعة من قومه، فأنزل بالعراق وابتنى بستاناً فى موقع الحيرة وأمتدت أيدى رجاله بحكم تلك الأنحاء فلم يكن عليها سلطان وعاش فيها نحو عشرين سنة ، قتله سلمة بن مالك غيلة .

انظر المزيد فى : المختصر فى أخبار البشر ٦٩/١ ، مروج الذهب ١٨٢/٣، تاريخ اليعقوبى ١٦٩/١، نهاية الأرب ٣١٥/١٥، المعارف ٣٨١، جمهرة الأنساب ٣٥٨، السبائك ٧٥، العرب قبل الإسلام ١٧٣ .

العراق في عهد البرتيين

بعد أن تم أمر الدولة البرتية فى بلاد بابل أطلقوا لأهلها الحرية التامة فى كل شــىء وأبقوا قوانين البلاد وشرائعها على ما كانت عليه قبلا ولم يتعرضوا بديانات أهــل الــبلاد ولابعاداتهم وعوائدهم ومنحوا لبعض المدن استقلالاً إدارياً ولبعضها أســتقلالاً إداريــاً وسياسياً . فكان فى عهدهم لكل مدينة استقلال بلدى وحق فى أنــتخاب القضــاة والمجلس الإدارى كما كان فى مدن الأقطار الأخرى التى تحت حكمهــم إلا أنهــم جعلوا على العراق حاكماً عاماً فارسياً يدير شؤون تلك المدن المهمــة تحــت إشــراف الملك البرتى المقيم فى اكتسيفون وفرضوا على كل مدينة ضــريبة ســنوية تؤديها للحكومة وبذلك تمتع العراقيون فىأكثر عهد هذه الدولة بالحرية التامة وعمرت بلادهم وكثرت ثروتهم خصوصاً وإن البلاد كانت هادئة لم يحدث فيها حرب دينية أو فتن مذهبية إلا ما كان يحدث أحياناً بين أهل البلاد وبين اليهود من الفتن بسبب الاختلاف الدينى مما لا علاقة له برجال الدولة لأن البرتيين لم يكــن عــندهم فــرق بين دين وآخر ولا تعصب لدين من الأديان حتى دينهم الرزدشــتى الذى كانوا عليه – وما كان يحدث بين هؤلاء الملوك وملوك سورية فى الحروب التى كاد يتطاير بعض شررها على أبناء الرافدين .

الحروب
بين البرتيين وملوك سورية

لما تم أمر البرتيين فى العراق وأسوأ دولة كبيرة تضم عدة أقاليم حاولوا التسلط على سورية كما حاول السلوقيون ملوك سورية الذين طردوا من العراق إرجاعه إليهم فسببت تلك المطامع حروباً دامت أعواماً طوالاً خسرت فيها الدولتان خسائر فادحة وأصيب بسببها أبناء الرافدين ببعض النوائب .

فلما انقضى عهد السلوقيين من سورية سنة ٦٤ ق م ، وقام فيها الرومانيون طمعوا فى العراق كما طمع البرتيون فى سورية فأمتدت من أجل ذلك بينهم الحروب وأكثرها كانت تقع فيما بين النهرين ولكنها كانت فى أول الأمر سجالاً بين الأمتين ثم صار النصر حليف الرومانيين [١] وحمل طريانوس الإمبراطور الرومانى سنة ١١٤ م بجيش كبير على البرتين فى أيام الملك خسرو الذى سماه بعضهم إرشاق الرابع والعشرين فانتصروا عليهم وتوغل الإمبراطور فى بلادهم حتى استولى على سواحل دجلة من جبال أرمينيا إلى خليج فارس سنة ١١٥ م واستولى على سواحل مدينة سلوقية واكتسيفون وغيرها من مدن العراق وزعزع أركان الدولة البرتية وكاد يقضى عليها إلا أن الملك البرتى خسرو تمكن أخيراً من

---

(١) بعد أن أفتتح الملك البرتى أرطبان الثالث أو أردوان الثالث أرمينيا وأخذها من الرومانيين فى عهد الإمبراطور طيرنوس .

جمــع جيوشه المتفرقة وحمل على الرومانيين وأخرجهم من بلاده فعادوا بالفشل [١] ولم تمــض أعوام قليلة حتى عادت الحرب بين الدولتين سنة ١٦٤ م فأنتصر الروم أيضــاً وتوغــلوا فى العــراق وحاصروا عاصمة الملك اكتسيفون سنة ١٦٥ م ولم يــرجعوا عنها حتى عقدا صلحاً يرضيهم فلما دخلت سنة ١٩٥ م عادت الحرب فأندحــر البرتيون وتقدم الرومانيون وتوغلوا فى العراق وتمكنوا من الاستيلاء حرباً على اكتسيفون فنهبوها .

وظــل البرتيون تارة ينتصرون على الروم وأخرى يندحرون أمامهم وآونة يعقدون الصلح معهم حتى انقضت أكثر مدتهم فى نزاع وحروب هذا عداً ما كان يحــدث أحياناً من الفتن الداخلية التى كانت تقوم تارة بين الأسرة المالكة لتنازعهم على الملك وأخرى من الشعب فيختل النظام وتضطرب أمور المملكة ويؤدى ذلك إلى خلع الملك أو قتله . وأحياناً كان الرومانيون يتدخلون فى شؤون الدولة بسبب تلك الفتن المتوالية حتى تحكم الضعف فيها وأختل نظامها وأخذت تنحط عاماً فعاماً وزالــت هيبــتها وطمع بها أعدائها وكان آخر ملوكها أردوان الرابع (٢١٦ م — ٢٢٦ م [٢]) .

---

(١) ويروى أن الإمبراطور الرومانى طريانوس أنزل الملك خسرو من عرش الملك وأجلس مكانه يرثاتباط عندما استولى على اكتسيفون وتصرف هذا القيصر بأمور الدولة البرتية كيف شاء ثم عاد إلى مقره سنة ١١٧ م ويروى أن القيصر الرومانى ثرايان حمل على البرتين حتى دخل العراق واستولى على اكتسيفون وخلع الملك فيروز وولى مكانه رجلاً من أفراد الأسرة المالكة وعاد إلى مقره فلما مات القيصر الرومانى هذا عاد فيروز إلى العرش ثم تولى خسرو فأنزله من العرش القيصر طريانوس .

(٢) وفى رواية أنه جلس على العرش سنة ٢٠٨ م .

انقراض الدولة البرتية

جلس أردوان الرابع على العرش فى الوقت الذى كانت فيه الدولة البرتية قـد انهكتها الحروب الخارجية (التى تقدم ذكرها) والفتن الداخلية التى بدأت منذ سنة ١٩٧ م تارة بين الاسرة وتارة يثيرها الشعب على ملوكه لضعف الدولة حتى طمع بها أعداؤها فزادت فى عهده الفتن والأضطرابات وكثرت المشاغب فى الاسرة المالكة فأغتنم الرومانيون فرصة تلك الأضطرابات المتوالية التى انهكت الدولة وحمل الإمبراطور الرومانى قراقلا على ما بين النهرين سنة ٢١٦ ثم عقد خلفه مرقيانوس فى سـنة ٢١٧ م صـالحاً مع أردوان هذا ولكن الدولة البرتية لم تكد تستريح من الحـروب الخارجيـة حتى ثار الفرس سنة ٢٢٤ م بزعامة أردشير بن بابك من آل ساسـان [1] الذى عزم على تأسيس دولته ونهض بقومه من الهضاب التى فى غربى إيـران فأخضع فى مدة قصيرة جميع بلاد فارس. وتبعه خلق كثير من الفرس الميدين ثم حـالف جماعة كبيرة من الملوك والأمراء الذين تحت سلطة البرتيين فانحاوزا إليه وعزم على محو تلك الدولة التى حكمتهم مدة خمسة أجيال فهم أروان الرابع بإخماد تـلك الـثورة بادئ بدء فخابت مساعيه بعد عدة معارك دارت رحاها بينه وبين أردشـير فاندحرت جيوشه وأعلن أردشير ملوكيته المستقلة فى باخترا وسمى نفسه مـلكاً. وبعد حروب دامت نحو سنتين انتصر أردشير انتصاراً باهراً ومزق جيوش الدولـة البرتية وأفتتح العراق وغيره من الأقطار التى تحت حكمهم ودخل عاصمة

---

[1] قيل أنه كان من كبار القواد فى تلك الدولة .

الملك اكتسيفون سنة ٢٢٦ م واستولى على جميع ما كان لتلك الدولة من المستملكات والبلاد والأموال. وانهزم الملك البرتى أردوان الرابع إلى جبال أرمينيا (وقيل قتل فى المعركة الأخيرة) [1] فانقرضت دولة البرتيين التى أسسها أرشك بعد ان دامت ٤٧٤ سنة (٢٤٨ قبل الميلاد ٢٢٦ بعد الميلاد) وضمت مدن إيران الحديثة وأكثر بلاد الأفغان وقسماً كبيراً من تركية آسيا وأقاليم متسعة من املاك روسية الحالية والعراق وبلاد أشور وبلاد مادى التى فى ضمنها كردستان. وملكت فى بعض الأحيان بلاد ما بين النهرين (الجزيرة) لأنها كانت تارة تكون للروم وتارة لهم . ولكنها لم تحكم العراق إلا نحو ٣٥٢ سنة (١٢٦ ق م – ٢٢٦ م) وعدد ملوكهم الذين حكموا العراق ٢٠ ملكاً أولهم مهرداد السادس وآخرهم أردوان الرابع [2] وقد وجد الباحثون من النقابين فى مدينة لاكاش "لجش " قصراً من بناء هؤلاء الملوك قد شيدوه فوق هيكل انينو الذى كان مرصوداً لاله المدينة [3].

---

(١) ويروى أن هذه الدولة بقيت مدة فى أرمينيا بعد ذلك . وقيل ظهر لها فرع فى الجزيرة دام ٢١٠ سنوات (٢١٨م – ٤٢٨م) قرضها الساسانيون أيضاً فى عهد الملك شابور الأول .

وقيل أن أردوان الرابع هذا كان له أخ اسمه أشك فلما تغلب الساسانيون على مملكة أردوان ذهب أشك إلى جهة الجزيرة وأسس دولة جديدة فيها سنة ٢١٨ م .

(٢) ويروى أن آخرهم أردوان الخامس ولكنه خطأ .

(٣) ووجد بعض الأعراب النازلين قرب حصية – موقع بين بغداد والمسيب – قطعة من تابوت برتى فأشتراها منه أحد الأوربيين فى سنة ١٩٢٣ م ومن الأثمر التى حفرها البرتيون لهر الملك الذى احتفره أردوان الرابع .

تتمة

لما تقدم

لقد اختلفت أقوال المؤرخين فى مدة هذه الدولة وعدد ملوكها منذ نشأت حـــتى انقراضها. فمن قائل أن مدتها كانت ٣٩٧ سنة ومن قائل أنها عاشت ٤٨١ ســـنة ومن قائل أنها دامت ٤٧٤ سنة ، ويزعم بعضهم أن عدد ملوكها ٣١ ملكاً ويقـــول آخرون (٣٠) ملكاً وان الذين حكموا العراق منهم عشرون ملكاً أولهم مهر داد السادس وآخرهم أردوان الرابع ، ويروى البعض ان عددهم ١٩ ملكاً. وكذلـــك جـــائت أسماء هؤلاء الملوك مختلفة جداً فمنهم من يسمى أردوان باسم أرطـــبان ومنهم من يذكر اولغاش بدلاً من أردوان ومنهم من لم يذكر اسم أحد من هـــؤلاء الملوك إلا فى سياق ذكر حادثة حربية أو فتنة داخلية. وبينما نرى تواريخ الـــرومانيين تذكر أربعة ملوك سموا باسم أردوان نرى تواريخ الفرس لا تذكر غير مـــلكين سميـــا بهذا الاسم وترى من جهة أخرى أن بعضهم بلقب كل ملك يلقب أرشاق ويقول أن أولهم أرشاق الأول وآخرهم أرشاق الواحد والثلاثون [١].

(١) وعلى هذا فأنهم كانوا يلقبون بهذا اللقب كما لقبوا ملوك الروم بالقياصرة وكما كان الساســـانيون يلقـــبون بالأكاسرة وان كلمة أرشاق كانت تضاف إلى اسم الملك كما كـــانت كلمة قيصر تضاف إلى اسم ملك الروم وكلمة كسرى تضاف إلى اسم الملك الساسانى .

وروى بعـــض المؤرخين أن الذى تولى بعد أرشك الأول أشكان الأول ثم أشكان الثانى ثم شابور ثم بهرام ثم بلاش ثم هرمز ثم نرسى ثم فيروز ثم بلاش الثانى ثم خسروا ثم بلاش الثالث ثم كودرز ثم ترسى الثانى كودرز الثانى ثم اردوان الثانى وبه انقرضت هذه الدولة .

ويقول آخران الذى تولى الأمر بعد أرشك أخوه تيرداد ثم أردوان الأول ثم افراســياب ثم فرهاد ثم مهرداد الأول الذى قاتل السلوقيين وأخذ منهم بلاد مادى وبـــلاد آشور وبلاد بابل واسر الملك السلوقى ده مترثيوس فى الحادثة التى وقعت على ساحل الفرات بعد حروب هائلة . ويروى لنا غيره أن أولهم أرشاق أو أرشك ثم ثيردات الأول ثم أرشاق الثانى ثم أبراهاباط ثم أبراهاط الأول ثم ميتريدات الأول ثم ابراهاط الثانى ثم أرطبان الأول ثم ميثريدات الثانى ثم أرطبان الثانى ثم سناطروق ثم أبراهاط الثالث ثم ميثريدات الثالث ثم ورود ثم أبراهاط الرابع ثم أبراهاطاس ثم أورود الـــثانى ثم أونـــون ثم أرطـــبان الثالث ثم تيردات الثانى ثم وردان ثم كوتارز (وكورتارســـن) ثم أوجودرز ثم اولفاش الأول ثم باقور ثم خوسرو ثم برثاتسباط ثم اولغاش الثانى ثم اولغاش الثالث ثم اولغاش الرابع ثم أرطبان الرابع . وذكر بعضهم أن الـــذى جلس على العرش بعد ارشك هو تيراد ثم أردوان الأول ثم أفراسياب ثم فـــرهاد الأول ثم مهرداد الأول ثم فرهاد الثانى ثم هرمز ثم فرهاد الرابع (ولم يذكر الثالث) ثم فيروز ثم خسرو ثم بلاش الثالث (ولم يذكر بلاش الأول ولا الثانى) ثم أردوان الخامس (ولم يذكر غير الأول قبل هذا) وبه انقرضت هذه الدولة .

وخلاصـــة القول أن المؤرخين لم يتمكنوا من ضبط أسماء ملوك هذه الدولة بصـــورة صـــحيحة ولم يتوفقوا إلى معرفة تاريخها بالضبط ولذلك تناقضت أقوالهم واختـــلفت أخـــبارهم خصوصاً وأن هذه الدولة لم تترك آثاراً تاريخية حتى يتوصل

الباحـــثون إلى مـــا يحتاجه التاريخ. ومع ذلك فأننا قدمنا فى أبحاثنا ما هو الأرجح وذكرنا فى هذا البحث ما وصلنا عن المؤرخين ولا بد من يوم نقف فيه على ضالتنا بواسطة ما يستخرجه النقابون من أطلال المدن القديمة ولا سيما إذا حفروا أطلال اكتسيفون التى كانت عاصمة هذه الدولة [١].



(١) اكتســـيفون او اكـــتزيفون يقال أن البرتيين سموها تيسفون فسماها العرب طيسفون وطسفونج وموقعها على ضفة دجلة الشرقية فى جنوب بغداد بناها البرتيون واتخذوها عاصمة بعد سلوقية فنالت فى أيامهم من العز والحياة والثروة ما لم تبلغه مدينة فى ذلك العهـــد وكثرت فيها المعاقل والحصون وتعددت فيها الهياكل والمبانى العظيمة والقصور وكـــان لها سور حصين وبقى البرتيون الواحد بعد الآخر يزيد فيها من المبانى الفخمة والقصور العظيمة والهياكل الشامخة حتى صارت من أعظم مدن العراق ولكنها نكبت مراراً على يد الروم وأول من زحف منهم عليها ثريانوس قيصر وتمكن من فتحها عنوة سنة ١١٥ م واستباحها بالقتل والنهب والأسر ثم حمل عليها فيروس الرومانى بعد ان فـــتح ســـلوقية عـــنوة فأفتتحها ومحى ما بقى من آثارها ثم أعاد بناء سورها البرتيون وأكثروا فيها من الحصون والمعاقل وأسباب القوة فلم يتمكن الروم من الاستيلاء عليها بعد ذلك . وكان محيط هذه المدينة ميلين .

الدولة الساسانية
أو الدولة الفارسية الرابعة في العراق

سنة ٢٢٦ م - سنة ٦٣٧ م

بعد أن استولى أردشير بن بابك على العراق وقرض الدولة البرتية وأسس الدولـــة الساسانية أو دولة الأكاسرة الشهيرة فى التاريخ نظم إدارة البلاد العراقية وولى عـــليها الولاة ولم يتعرض بديانة العراقيين ولا بعاداتهم وأقر قوانين البلاد على حالهـــا ولكنه اضطهد اليهود من أجل مساعدتهم للبرتيين أثناء الحروب التى قامت بيـــنه وبين البرتيين فى العراق ، وأقر على الحيرة وما يليها ملكاً على العرب جذيمة الوضـــاح الذى كان مخالفاً له قبل فتح العراق ثم خضع لسيادته وبسبب خضوعه هـــذا هاجـــر كثير من العرب ولا سيما تنوخ التابعين لحكومة الحيرة ونزلوا بادية الشام لأنهم أبو الرضوخ للفرس .

وبقى العراق فى هدوء حتى مات أردشير سنة ٢٤١ م بعد أن حكم خمسة عشـــر سنة (٢٢٦ م - ٢٤١ م) ومن مبانية فى العراق مدينة بهرسير بناها قلعة كبيرة بالقرب من موقع البصرة عداً ما حفره من الأنهار وما جدده من المدن مدينة سلوقية فأنه جدد بنائها فسميت بعد حين أرداشير.

مات هذا الفاتح والدولة الساسانية التى أسسها فى دورة التأسيس ولم يفتح بعـد العراق (بعد محو البريتين والتغلب على مملكتهم) غير بلاد مابين النهرين التى أعـلن الحرب من أجلها على الروم فى عهد القيصر الكسندرسويروس وأخذ منه جميع تلك البلاد، ثم وسع خلفاؤه الملك بفتوحات جديدة حتى صارت هذه الدولة من أعظم دول الأرض فى تلك الأزمنة .

وتـولى بعد أردشير الأول أبنه شايور الأول (٢٤١ م - ٢٧٢ م) الذى أدخـل القسم الأعظم من جزيرة العرب تحت حماية الفرس ، وبنى فى العراق مدينة تكريت التى صارت بعد حين مركزاً لليعاقبة النصارى، وظهر فى أيامه مانى المشهور الـذى أدعـى النـبوة فى بـلاد فارس، وشابور هذا وهو الذى أسر ملك الروم والـريانوس قيصر وأرسله أسيراً إلى بابل بعد حروب شديدة استمرت أعواماً بين الدولـتين ولكـنه اندحر أخيراً أمام أذنية الثانى العربى ملك تدمر الخاضع لسيادة الـرومانيين حتى استردت منه بأسم الرومانيين جميع بلاد الجزيرة وظل يطارده حتى دخل العراق وحاصر مدينة سلوقية سنة ٢٦١ م ثم رجع بمن معه من جيوش العرب والروم. لاختلال حدث فى المملكة الرومانية .

وتـولى بعده ابنه هرمزد (هرمز) الأول سنة ٢٧٢ م ثم بهرام الأول سنة ٢٧٣ م وهـو الـذى قتل مانى وسعى فى محو مذهبه من بلاد فارس وأعلن الحرب عـلى الـروم فأنخذل أمامهم فطاردوه إلى العراق واستولوا على مدينتى سلوقية واكتسـيفون ثم رجعـوا إلى ما بين النهرين ، وخلفه بهرام الثانى ٢٧٦ م ثم بهرام الـثالث سـنة ٢٩٣ م فلم يملك غير أربعة أشهر فتولى فى السنة نفسها نرسى بن بهـرام الـثانى وهو الذى حفر فى العراق بنواحى الكوفة نهر النرس الذى يأخذ من

الفـــــرات [١]. وفى أيامه جعل نهر الخابور حـــداً فاصلاً بين العـــراق والروم أو بين المملكة الفارسية والمملكة الرومانية وتولى بعده هرمزد الثانى ســــــنة (٣٠٢ م – ٣٠٩ م) وفى كل هذه المدة لم يحدث فى العراق اضطراب أو اختلال داخلى .

شابور الثانى والعرب العراقيون

تــولى شــابور الـــثانى بعد هرمزد الثانى سنة ٣٠٩ م ولصغر سنه نصب الفــرس وصــياً عــليه ليتولى شؤون المملكة فساءت الأحوال بادئ بدء وكثرت الاضــطرابات فى المـــلكة حتى طمع العرب فيها وجاء منهم – زيادة على من فى العراق منهم – عدة قبائل من البحرين وغيرها وعبروا خليج فارس وأخذوا يشنون الغارات على الأطراف، وأغارت قبيلة إياد على سواد العراق ونهبت وغنمت وظل العرب أعواماً وخصوصاً إياد معادين للفرس والفرس لا يقاتلونهم .

فــلما بلغ شابور السادسة عشر وتسلم زمام المملكة بدأ بأعدائه القريبين مــنه وهــم العرب الذين فى العراق فتعمد أذاهم وإخراجهم من بلاده وخصوصاً قبيلة إياد التى قال فيه شاعرها:

على رغم سابور بن سابور أصبحت ... قباب إياد حولها الخيل والنعم

---

(١) وهــو الــذى كراه الحجاج بن يوسف أمير العراق فى عهد الأمويين فسمى نهر النيل وكان عليه عدة قرى من جملتها نرس .

فـتمكن مـن الفتك بالعرب فقتل من إياد ومن تميم عدداً كبيراً وشنت جيوشـه شمـل العرب ففر بعضهم إلى الروم وبعضهم إلى البحرين وغيرها فطارد سـابور من فى البحرين فقطع الخليج الفارسى وفتك فى البحرين واليمامة ببنى تميم ثم سـار إلى الاحساء والقطيف وفتك بالعرب الذين هناك ثم عاد وحمل على ديار بكـر وربيعـة فيما بين مملكة الفرس والروم وفتك بهم وكان يترع أكتاف رؤساء العـرب الذين يظفر بهم فسموه ذا الأكتاف ولم يكتف سابور بما أنزله بالعرب من الفـتك العظـيم فى أكثر الجهات بل أنه أصدر بعد تلك الحادثة أمراً بعدم دخول العـرب فى عاصـمته بغير أذن منه ومن دخلها بغير أذن يقتل، وبنى مدينة الهفة فى طـرف السـواد فى أنحاء البطيحة فى العراق وأسكن فيها من أسره من إياد وهى الفرس عن مخالطتهم [١] فأراد العرب الذين فروا إلى الروم أن ينتقموا منه فأتفقوا مع الروم فى عهد الملك قسطنطين الأكبر وزحفوا معهم على الجزيرة فأتسع الخرق عـلى الفـرس وجـرت بين سابور وبين الروم عدة وقائع انهزم فى آخرها الفرس فطـاردهم الـروم والعرب حتى استولوا على اكتسيفون وغنموا ما فيها، فاضطر المـلك الفارسى إلى تأليف جيش جديد فتمكن من استرداد اكتسيفون وظل يقاتل المهـاجمين حتى أخرجهم من العراق وطاردهم فحالفه النصر حتى اضطر الروم إلى مصـالحته وإرجـاع مديـنة نصيبين له ، ولما تولى عرش الروم يوليانوس حمل على الفـرس سنة ٣٦٣ م وعبر نهر دجلة وتوغل فى البلاد حتى اقترب من اكتسيفون فلقيته جيوش شابور وبعد معارك هائلة انكسرت الجيوش الرومانية وقتل ملكها .

ولم يكـن اضـطهاد شابور قاصراً على عرب البادية بل شمل سكان المدن مـنهم وهـم النصارى الذين كانوا منتشرين فى المدن العراقية فأنه قتل كثيراً منهم

---

(١) ولقد صارت هذه المدينة بعد ذلك منفى وصار الملوك الساسانيون ينفون إليها كـل من غضبوا عليه .

وأصـــدر أمراً بمضاعفة الجزية السنوية التى عليهم وذلك سنة ٣٣٩ م واردفه بأمر آخـــرها بعد سنة قضى بهدم الكنائس ثم قتل جماعة من الاساقفة ، والذى حمله على ذلك انتشار الدين المسيحى فى عهده فى العراق انتشاراً هائلاً بين الحضر والبدو من العـــرب وتحزب النصارى وتحبسهم لقياصرة الروم الذين من مذهبهم، لا سيما فى عهـــد القيصر قسطنطين الكبير ولذلك بلغ الاضطهاد أشده فى أيامه، وهو أول من أضـــطهد النصارى من الملوك الساسانيين ، وهو الذى بنى مدينة آلوس الواقعة فى جزيـــرة صغيرة فى وسط الفرات شرقى حديثة وجعلها مسلحة تحفظ ما قرب من البادية وهو الذى حفر خندقاً فى برية الكوفة أى من هيت إلى كاظمة مما يلى موقع البصرة يشق طف البادية [1] وينفذ إلى البحر وجعل عليه القلاع والحصون ونظمه بالمســـاح ليكون ذلك مانعاً لأهل البادية من السواد أى ليمنع هجمات العرب [2] وهـــو جدد بناء مدينة الأنبار التى كانت على الفرات فى غربى موقع بغداد بينهما عشـــرة فراسخ، وهو الذى قرض دولة الضجاعمة العربية التضاعية وأستولى على مدينـــتها الحضـــر الـــتى يسميها اليونان " أترا" ويسميها بعضهم حطار الواقعة فى الجزيـــرة فى الجـــنوب الشرقى من سنجار، وهو الذى بنى القصر المشهور فى مدينة اكتســـيفون وجعلـــه دار الملك وانفق على بنائه أموالاً طائلة [3] وتولى بعده أخوه أردشـــير الثانى سنة ٣٧٩ م ثم خلع سنة ٣٨٣ م واجلس مكانه شابور الثالث ثم بهرام الرابع سنة ٣٨٨ م وفى أيامه أغار الهوينون على أرمينيا سنة ٣٩٦ م ثم على

---

(١) الطف ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق .

(٢) ولا زالت أثار هذا الخنوق باقية حتى اليوم ولا تزال العرب حتى الآن يسمونه خندق سابور .

(٣) يقـــــال أنه قضى فى بنائه عدة سنوات وجعله فى وسط المدينة على مقربة من دجلة ثم زاد فيه كسرى أنو شروان ومن جاء بعده حتى صار من المبانى العجيبة .

ما بين النهرين وسورية واستولوا على بلاد كثيرة ثم حملوا على العراق حتى أقتربوا من اكتسيفون فحمل عليهم بهرام السبايا الذين سبوهم من بلاد الروم وكانوا نحو الـثمانية عشر ألف نسمة فأعاد بعضهم إلى بلادهم وأسكن بعضهم العراق وذلك سنة ٣٩٩ م .

ثم تـولى يزدجـرد الأول الملقب بالأثيم سنة ٣٩٩ م وكان يحب العرب ويكـرمهم وكـان لملك الحيرة النعمان الأول عنده منزلة رفيعة حتى أنه ابنه بهرام اعطاه وهو طفل للنعمان ليربيه فى الحيرة لطيب هوائها وعذوبة مائها فرباه النعمان احسن تربية وعلمه الكتابة والحكمة والرمى والفروسية وكل ما يلزم للملوك وبنى له قصراً فخماً وبقى عنده حتى مات أبوه .

وفى عهـده اضـطهد الفرس النصارى فأتخذ الروم ذلك الأضطهاد ذريعة لـلحرب فـتظاهروا بنصرة أبناء مذهبهم وأشهروا الحرب على الفرس وبعد عدة وقـائع اتفق الفريقان على الصلح وأرسل ملك الروم أركاديوس وفداً إلى العراق فـنزل الوفـد فى البلاط الملوكي باكتسيفون فتم الصلح على شروط رضياها من جملـتها رفـع الاضطهاد عن النصارى الذين فى المملكة الفارسية، وعقد يزدجرد معـاهدة صلح لمائة سنة وأزال الأضطهاد عن النصارى وأذن لهم بتجديد الكنائس التى خربت فى الاضطهادات وأطلق لهم الحرية التامة .

وخـلفه ابـنه بهـرام الخامس أو بهرام جور سنة ٤٢٠ م وهو الذى رباه الـنعمان الأول مـلك الحيرة وساعده على لبس التاج لأن الفرس اختلفوا فيمن يمـلكون عليهم من أولاد يزدجرد الأول الذين ثارت بينهم الفتن عند موت أبيهم فأسـتنجد بهـرام بالـنعمان فجهـز لنصرته جيشاً كبيراً من العرب وسار به إلى اكتسـيفون واجـلس بهرام على كرسى المملكة. ومن أجل ذلك أحب هذا الملك

العـــرب حباً جماً ورفع منزلة ملك الحيرة على سائر رجال دولته فأعتلا شأن العرب فى عهده .

وتـــولى بعـــده يزدجر الثانى سنة ٤٣٨ م ثم هرمزد الثالث سنة ٤٥٧ م فـــنازعه أخوه الأكبر بيروز أو فيروز على الملك واستنصر بالهياطلة [١]فأمده ملكها بـــثلاثين ألـــف مقاتل فحارب أخاه حتى استولى على العرش بعد أن قتل أخاه سنة ٤٦٠ م فـــلما كانت سنة ٤٨٤ م قتل هذا الملك فى حربه مع الروم فخلفه بلاش بـــانى مدينة ساباط بالقرب من اكتسيفون فنازعه أخوه قباذ على الملك ولكنه مات فى اثـــناء ذلك فصفى الجو لقباذ وجلس على العرش سنة ٤٨٨ م. وفى أيامه ظهر مزدك الشيوعى ونشر الشيوعية فى بلاد فارس وتبعه الملك قباذ وساعده على نشر مذهـــبه فى المـــلكة الفارسية حتى كادت تسرى الشيوعية إلى العراق ، وأمر قباذ جميع الولاة والحكام والموظفين فى خدمة الحكومة بأتباع هذا المذهب فاتبعه فـــريق منهم طوعاً وآخرون كرها وأبى اتباعه جماعة كبيرة منهم المنذر الثالث ملك الحـــيرة فعزله قباذ وولى على الحيرة كندة الحارث بن عمرو عدو المنذر، فلما زاد تعصـــب قـــبـــاذ للشيوعية اتفق عظماء الفرس على خلعه فخلعوه وحبسوه سنة ٤٩٩ م واجلسوا مكانه أخاه زماسب (جامسب) .

وبعد قليل فر قباذ من الحبس بمساعدة اخوته وسار ملتجأ بالهياطـــــلة أو البرابرة وهنـــاك أستنجد بملكهم فجهز له جيشاً كبيراً وانضم إليه اتباع مزدك فزحف قباذ على أخيه وبعد حروب قهره وعاد إلى العرش ثانية سنة.٤٩٨ م .

---

[١] بلاد الهياطلة هى البلاد التى خلف النهر الأعظم مما يلى أرض بلخ .

فلما عاد قباذ ورأى الفرس قد غضبوا عليه بسبب أتباعه لمذهب مزدك الشيوعى تركه وتظاهر بالمجوسية ، وهو الذى جعل الخراج بالمساحة فى العراق بعد أن كان أسلافه يأخذون الخراج بالمقاسمة .

فضرب قباذ على الجريب الواحد من الأرض درهماً وقفيزاً مهما يكن حاله من الخصب أو الجدب [1] فبلغت جباية العراق فى أيامه مائة وخمسين مليون درهم فى السنة حيث كانت بلاد العراق حينذاك زاهية بالبساتين والحدائق والمزارع العظيمة والأنهار خصوصاً وأن هذا الملك كان قد نشط التجارة والزراعة وحفر عدة أنهار فى العراق .

وتولى بعد قباذا أبنه كسرى أنو شروان العادل سنة ٥٣١ م فأصلح أمور الدولة ونظم جيوشها وعدل الشرائع التى وضعها أردشير الأول [2] فزهت فى أيامه المملكة الفارسية وتقدم العراق نحو المدنية والعمران حتى أصبح حافلاً بالعلماء من أهل البلاد الأصليين والفرس وغيرهم ونبغ فيه جماعة من النصارى فى الطب والفلسفة وزادت ثروة أبناء الرافدين وسعدوا برقى بلادهم، فبلغت جباية العراق فى عهده مائتين وسبعة وثمانين مليون درهم لأن هذا الملك بذل جهده فى أنماء ثروة البلاد واجتهد كثيراً فى تنشيط التجارة وتوسيع أمور الرى والمعارف ونشر العدل وبث الأمن . ورغب الناس فى العلوم فأنتشرت فى أيامه الفلسفة اليونانية والعلوم المختلفة ، وهو الذى حفر نهر القاطول فوق سامرا المعروف بالقاطول الكسروى الذى كان يأخذ من دجلة فى الجانب الشرقى ويصب فى النهروان وحفر نهر دن بقرب أكتسيفون وحفر غير هذا عدة أنهار وترع فى العراق ، وبنى مدينة بالقرب

---

(١) الجريب ٣٦٠٠ ذراعاً مربعاً والقفيز عشر الجريب : أى ٣٦٠ ذراعاً أو مربعاً .

(٢) ويسمى كسرى الأول ومعنى كسرى : واسع الملك . ومعنى انو شروان : ذى النفس الكريمة .

مـــن أكتسيفون وهى مدينة نطيخوسرو أى أنطاكية الجديدة لأنها كانت على شكل انطاكية الروم فسمتها العرب رومية المدائن وسماها الكلدان ماحوزا حدثاً أى القلعة الجديدة وزاد فى القصر الملوكى الذى أسسه شابور ذى الأكتاف بأكتسيفون وأكثر مـــن زخرفـــته، وأعاد المنذر الثالث ملك الحيرة إلى ملكه ، وقتل مزدك وكثيراً من أتـــباعه وأجـــتهد فى محو الشيوعية حتى أزالها من مملكته ، وعدل قانون الجزية أى انقصها عما كانت عليه أيام أسلافه ترفيهاً لرعاياه. وأستثنى منها أهل البادية وهم عرب العراق أى أن هذه الجزية أو الضريبة السنوية على أهل المدن فقط . ولما جاء الإسلام أراد عمر أن يجعلها على العرب أولاً ثم عفى عنهم . فأصدر أمراً عاماً الزم بـــه الـــرعية الجزية ما عدا العظماء وأهل البيوتات والجند والهرابذة والكتاب ومن بخدمـــة المـــلك كل إنسان على قدره فجعلها أثنى عشر درهماً وثمانية دراهم وستة دراهم وأربعة دراهم وعفى عمن كان عمره دون العشرين أو فوق الخمسين، وأمر أن يوضـــع عمن أصابت غلته جائحة (أضرار) بقدر حاجته، وبجمع الجباية فى كل أربعة أشهر مرة واحدة وبهذا التعديل خفف عن رعاياه، وفى أيامه غزت قبيلة إياد القوافل فحمل عليهم أنوشروان وكانوا قرب مكان الكوفة ففتك بهم وطردهم من العـــراق فهاجروا إلى الجزيرة وعلى أثر ذلك جدد سور مدينة آلوس ووضع فيها جـــنوداً لصد هجمات القبائل العربية التى كانت تغير على ما قرب من السواد إلى البادية .

وجـــلس على سرير المملكة بعده هرمزد الرابع سنة ٥٧٩ م ثم خلع على أثـــر فتنة قامت بينه وبين القائد العام بهرام الذى انحازت إليه الجيوش كلها فأجلس الفـــرس عـــلى العرش ابنه ابرويز سنة ٥٩٠ م (كسرى برويز أو كسرى الثانى) حســـماً لـــلنزاع وتسكيناً لفتن والاضطرابات فأزداد القائد عتواً وطمع فى العرش فـــدارات رحى الحرب بينه وبين الملك ابرويز وبعد عدة وقائع جرت بالنهروان فى

العراق انتصر بهرام واستولى على أكتسيفون وأغتصب العرش وأعلن نفسه ملكاً ، أمـا ابرويـز فأنه فر بعد انكساره إلى القسطنطينية مستنجداً بالأمبراطور موريس (موريقـى) فأكـرم وفادته وزوجه بابنته ثم جهز له جيشاً عرمزراً وأمده بالأموال فسـار ابرويز بالجيش حتى أقترب من العراق فلاقاه بهرام وبعد معارك هائلة دامت مـدة انتصـر ابرويز انتصاراً باهراً ومزق جيوش بهرام وظل يطارده إلى أذربيجان وهـناك انتصر عليه انتصاراً نهائياً ففر بهرام إلى بلاد الترك وعاد ابرويز إلى عرش الملك ودخل أكتسيفون بأحتفال عظيم بعد أن دامت الحروب بينه وبين بهرام أربع سنوات .

وعلى أثر هذا الفوز تنازل ابرويز للروم عن مدينتى دارا وميافارقين اللتين أخذهمـا أبـوه هرمـزد منهم وأرسل إلى الأمبراطور موريس هدايا نفيسة واجزل العطـاء والصلات إلى قواد الروم الذين جاؤوا لنصرته وفرق الأموال فى العساكر الـرومية فعـادوا إلى مقـرهم وعقد ابرويز معاهدة الصلح مع الروم وأصبحت الدولـتان فى وفاق وداد خصوصاً وان ابرويز أضحى صهر موريس ، ولكنه الغى تـلك المعاهدة وأشهر الحرب على الروم سنة ٦٠٢ م عندما خلعوا الأمبراطور موريـس وقتلوه وأجلسوا مكانه فوقا على أثر فتنة أهلية حدثت فى مملكتهم فحمل عـليهم ابرويـز بجيوشه سنة ٦٠٤ م أخذاً بثار حميه موريس ودامت الحروب بين الأمـتين أعواماً وبعد أن توغل الفرس فى مملكة الروم واستولوا على أكثر ممتلكاتها ومسـتعمراتها وكـادوا يفتحون القسطنطينية ويقضون على تلك المملكة انعكس الأمـر عندما تولى هراقليوس عرش الروم وأخذوا يستردون من الفرس مدينة بعد أخـرى وظل الفرس يتقهقرون والروم يتقدمون حتى أقترب هراقليوس بجيوشه من نيـنوى وهناك دارات رحى حرب طاحنة دارات بها الدائرة على الفرس وأستولى الـروم على نينوى سنة ٦٢٧ م ثم على كركوك ثم تقدموا نحو العراق حتى وصلوا

الـــزاب الأكبر وهناك حدثت حرب أخرى دموية فانكسر الفرس فيها أيضاً وأخذ الـــروم يتقدمون والفرس يفرون حتى وصل هراقليوس إلى الدسكرة [1] ثم تقدم إلى الـــنهروان فأختل أمر الفرس واضطربت أحوالهم فأجتمع كبراؤهم فخعلوا ابرويز وولوا مكانه ابنه شيرويه وذلك سنة ٦٢٨ م .

ففـــاوض الملك الجديد الروم فى الصلح فأجابوه وتم عقد الصلح بينه وبين هراقـــليوس عـــلى ما يرضى الروم فعادوا إلى بلادهم ، وعلى أثر ذلك قتل الملك شيرويه أباه ابرويز .

وابرويـــز هذا هو الذى قتل النعمان الثالث ملك الحيرة سنة ٦١٣ م وولى بدله على الحيرة إياس بن قبيصة الطائى [2] وهو الذى أرسل إليه صاحب الشريعة الإســـلامية (صـــلى الله عليه وسلم) كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام مع عبد الله بن

---

(١) الدسكرة بلدة كانت قرب شهر بان وهى غير الدسكرة التى كانت بين بغداد وواسطة وغير الدسكرة الثالثة التى كانت على نهر الملك .

(٢) هـــو إياس بن قبيصة الطائى من أشراف طيئ وفصحائها وشجعانها فى الجاهلية ، اتصل بكســـرى ابرويز ، فولاه الحيرة ، ثم نحاه وولى النعمان أبا قابوس ، وتعدى الروم تخوم العجم فى أيام ابرويز فوجه إياساً لقتالهم فظفر بهم ، وبالغ كسرى فى تقديمه ثم كانت غضبة ابرويز على النعمان وقتله إياه فأعاد إياساً إلى ولاية الحيرة سنة ٦١٣ م وحدثت فى أيامـــه وقعـــة " ذى قار " التى انتصفت بها العرب من العجم ، وكان على العجم إيـــاس . فانهـــزم ولم يبرح والياً على الحيرة إلى أن مات سنة ٤ ق هـــ / ٦١٨ م .
انظر المزيد فى : تاريخ ابن خلدون ٢/ ٢٦٥ ، الكامل ١/ ١٧٣ ، شعراء النصرانية ١٣٥ ، العرب قبل الإسلام ٢١٢ .

حذافــة الســـهمى [1] سنة ٦٢٨ م ، الموافقة لسنة فلما حضر عبد الله أمام ابرويز سـلمه الكتاب وهذا نصه (بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم الفرس سلام على من أتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد ان لا اله إلا الله وحـده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله ، أدعوك بدعاية الله فأنى رسول الله إلى الـناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين . أسلم تسلم فان أبيت فانما عليك أثم المجوس) .

فقرأه أبرويز فلما انتهى منه مزقه واساء إلى حامله وكتب إلى عامله باليمن يأمــره أن يغــزو المدينة ويأتيه برسول الله أسيراً، وعاد عبد الله إلى النبى صلى الله عـليه وسلم وأخبره بما فعل ابرويز فقال : اللهم مزق ملكه كما مزق كتابى ، فلما خلع ابرويز كتب أبنه شيرويه إلى عامله باليمن ينهاه عن مقاتلة رسول الله .

وفى عهد ابرويز حدثت المعركة الشهيرة بوقعة ذى قار بين الفرس والعرب التى انتصر فيها العرب انتصاراً باهراً على الفرس .

ولم يمـلك شيرويه غير بضعة أشهر فقتل وخلفه أردشير الثالث سنة ٦٢٩ م ملكه الفرس وهو طفل فجعلوا له نائباً ليقوم بأمره وهو رئيس أصحـــاب المدائن

---

(١) هو عبد الله بن حذافة بن قيس السهمى القرشى أبو حذافة صحابى أسلم قديماً وبعثه الـنبى صلى الله عليه وسلم إلى كسرى . وهاجر إلى الحبشة ، وقيل : شهد بدراً وأسره الروم فى أيام عمر رضى الله عنه ثم أطلقوه ، وشهد فتح مصر وتوفى بها فى أيام عثمان رضى الله عنه سنة ٣٣ هـ / ٦٥٣ م ، وكانت فيه دعابة وله حديث وعده الجمحى من شعراء مكة .

انظـر المزيد فى : تهذيب التهذيب ٥/ ١٨٥ ، امتاع الأسماع ١/ ٣٠٨ ، ٤٤٤٩ ، حسـن الصحابة ٣٠٥ ، المحبر ٧٧ ، تاريخ الإسلام للذهبى ٢/٨٧ ، الجمحى ١٩٦ .

(رئيس الوزراء) المدعو جسنس فتسلم هذا زمام الأمور ولكن الأضطرابات الداخلية كانت تزداد يوماً فيوماً فى الوقت الذى حمل المسلمون فيه على العراق بقيادة خالد بن الوليد فاختلت شؤون المملكة واختلفت كلمة رجال الدولة حتى آل ذلك إلى حدوث فتنة بين رئيس القواد وبين نائب الملك كان النصر فى آخرها لرئيس القواد فحمل بجيوشه على أكتسيفون وحاصرها ونصب عليها المجانيق ثم احتلها عنوة وقتل أردشير الملك ونائبه وجماعة من رجال الدولة وأغتصب العرش ونادى بنفسه ملكاً سنة ٦٣٠ م ولكنه لم يلبث أكثر من أربعين يوماً حتى وثبت عليه جماعة من الفرس وقتلوه وعلى أثر ذلك اتفق رجال الدولة على تمليك بوران بنت كسرى ابرويز فى السنة نفسها فلم تملك هذه غير سنة عشر شهراً فأحتال عليها رئيس القواد بيروز وخنقها سنة ٦٣١ م فأشتد الشقاق والخلاف بين رجال الحكومة وعظمت الأضطرابات فى المملكة الفارسية وأنقسم الفرس إلى ثلاثة أقسام، فبايع أهل اكتسيفون آزرميد وخت بنت كسرى ابرويز بايع أهل خراسان صبياً من أولاد الملوك اسمه ميهر خوسرو وبايع أهل اصطخز [١] يزدجرد بن شهريار ثم قتلت آزرميد وخت قتلها رستم حاكم خراسان بعد أن حمل عليها بجيشه ودخل أكتسيفون حرباً عقب عدة معارك ، ثم قتل ميهر خوسرو أيضاً فسادت الفوضى فى البلاد واختل النظام . والذى زاد الدولة اضطراباً وزعزع أركانها توغل العرب المسلمين فى العراق الذين جاؤوا للفتح منذ أيام أردشير الثالث أى سنة ٦٢٩ م بقيادة خالد بن الوليد فى عهد الخليفة الأول أبى بكر رضى الله عنه .

---

(١) اصطخر مدينة قديمة فى فارس واقعة فى الشرق الشمالى من شيراز وبينهما ستون كيلو متراً وكانت عاصمة الدولة الفارسية ويسميها اليونان برسبوليس أى مدينة فارس وكانت فخمة عظيمة البناء فتحها المسلمون سنة ١٨ هـ .

ثم اتفق أهل أكتسيفون على تمليك حشنشده ابن عم ابرويز سنة ٦٣٢ م فقـــتل هذا بعد شهر من تمليكه وولوا مكانه فيروز بن مهران من نسل أنو شروان فقـــتل بعد بضعة أيام وملك بدله سابور بن شهر يزان وكان طفلاً فقام بأمره أحد كـــبار رجـــال الدولة اسمه فرخ زادخسرو بن البنذوان ولم يمض ثلاثة أشهر حتى المـــلك ونائبه وزاد أمر الدولة أدياراً بسبب تلك الفتن المستمرة وطمع بها أعداؤها فلما أدرك الفرس خطورة موقفهم اجتمعوا على تمليك يزدجرد الثالث بن شهريار الـــذى اجلســـه على العرش أهل أصطخر فأستقدموه منها إلى أكتسيفون وأجمعوا كلمتهم عليه فحضر أكتسيفون سنة ٦٣٢ م فدانت له الفرس .

انقراض الدولة الساسانية

جـــلس يزدجر الثالث على عرش المملكة الفارسية فى الوقت الذى كانت فيه الدولة قد ضعفت من توالى الفتن الداخلية وزادها ضعفاً توغل العرب المسلمين فى العراق وحروبهم الشديدة مع الفرس منذ أيام أردشير الثالث وأيام الخليفة الأول أبي بكـــر الصـــديق رضى الله عنه ، فكان هذا الملك يبذل جهده فى إخماد الثورات الداخـــلية القائمة بين قومه من جهة ويصد هجمات العرب الذين جاؤا للفتح من جهة أخرى حتى ارتبك عليه الأمر ولكنه كان مع كل ذلك جلداً لا يظهر الضعف ولا يـــتظاهر بالعجز أمام العرب وظل يجهز الجيوش لقتالهم فأنتصروا عليه فى أكثر الوقائع وفى الأخيرة أصلوه حرباً حامية فى وقعة القادسية الشهيرة سنة ٦٣٦ م ثم أجـــبروه على الهزيمة من العراق إلى بلاد فارس سنة ٦٣٧ م بعد حروب عديدة فى عهد الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وقامت دولة الإسلام فى العراق وأنقرضت منه دولة الفرس التى حكمته ٤١٠ سنوات (٢٢٦ م — ٦٣٧ م) .

تتمة

لما تقـــــدم

كـــان معظـــم سكان العراق فى عهد الدولة الساسانية من بقايا الارامين الاصـــليين (وهـــم الكـــلدان أو السريان) والقبائل العربية التى منها إياد وربيعة وغيرهمـــا وعرب المناذرة سكان الحيرة وما يتبعها ويتخلل تلك الجموع شتات من الفـــرس والأكراد وغيرهم من أمم أخرى وكان الجميع فى عيش رغيد وحرية تامة بســـبب عـــدم تعرض هؤلاء الملوك بشرائع أهل البلاد وآداهم وعاداهم وابقائهم القوانـــين على ما كانت عليه قبلاً غير أهم بدأوا بأضطهاد النصارى العراقيين منذ تنصـــر القياصـــرة ملوك رومية بعد أن كانوا وثنين أى منذ أيام القيصر قسطنطين الكـــبير بسبب ميل النصارى إلى القياصرة أبناء مذهبهم والتجسس لهم خصوصاً عندما كانت تقوم الحرب بين الفرس والروم فيتجسس النصارى لأبناء دينهم حتى أن بعـــض الملوك قتلوا كثيراً من رؤساء النصارى وهدموا أكثر كنائسهم ولم يكن ذلـــك وحده سبباً لاضطهادهم بل أن انتشار الدين المسيحى بين عرب العراق من بـــدو وحضر وازدياد اتباعه عاماً فعاماً فعاماً خوف الفرس من القضاء على دينهم الزردشـــتى الذى اتخذوه ديناً رسمياً لدولتهم وأجتهدوا بتقويته خصوصاً وأن الدين المســـيحى كـــان قـــد صار أخيراً ديناً رسمياً لدولة الروم المجاورة لهم وصار الروم ينتصرون للنصارى الذين تحت حكم الفرس حتى أهم كانوا يتخذون اضطهادهم فى بعـــض الأحيان ذريعة للحرب مع الفرس ومع ذلك كله فقد كان أهل العراق فى

عهد هذه الدولة سعداء بالنسبة إلى الأمم الأخرى الراضخة لحكم الأجنبى فى ذلك العهد .

أمـــا حالة العراق من الوجهة الاقتصادية فكانت حسنة جداً لأعتناء هؤلاء الملوك بالرى واهتمامهم بتوسيع نطاق الزراعة وتنشيط التجارة ورقيها ومن أجل ذلك كان العراق فى عهدهم غنياً جداً وقد بلغت ثروته حينذاك مبلغاً عظيماً بفضل الـــزراعة والـــتجارة والصناعة واشتغل أبناء الرافدين فى أيامهم بالتجارة براً وبحراً وتبادلوا بها مع أهل الأقطار البعيدة كمصر وسورية والهند وفارس وغيرها ، بل أن زراعـــة العراق كانت فى عهدهم أرقى زراعة فى العالم بفضل ما حفروه من الترع والأنهـــار [١] وأصـــبحت جباية هذا القطر عظيمة خصوصاً فى عهد أردشير الأول ودارا الأول وقـــباذ وانوشروان [٢] ولم يكن اهتمام الملوك قاصراً على رقى التجارة وأنمـــا الزراعة فحسب بل أن أكثرهم اهتموا بنشر العلوم أيضاً فأنشأوا فى العراق المدارس والمراصد والبيمارستانات وخدموا المدنية القديمة بأنظمتهم ومؤسساتهم .

أما جباية خراج العراق فكانت فى عهدهم بالتعديل أى أنهم كانوا يأخذون خـــراج الأراضـــى بالمقاسمة فلما تولى قباذ بن فير وزجعل الخراج بالمساحة فضرب

---

(١) فمـــن الأنهر التى حفروها نهر الترس الذى احتفره الملك ترسى بن بهرام ، ونهر الصراة الـــذى أحتفره أردشير الأول ، ونهر القاطول ونهر دن اللذين احتفرهما أنو شروان هذا عـــدا الأنهار الصغيرة التى منها ما يأخذ من الفرات ومنها ما يأخذ من دجلة وعدا ما كـــروه من الانهار القديمة وما أنشأوه من السداد والجسور ومخازن المياه وما بنوه من المدن والقلاع .

(٢) وقـــد بلغت جباية العراق فى عهد قباذ مائة وخمسين مليون درهم وفى عهد أنو شروان ٢٨٧ مليون درهم وفى أيام أردشير الثالث حينما كانت الفتن مستمرة والاضطرابات متوالية مائة وعشرون مليون درهم سنوياً عداً ثلاثة ملايين تدفع للبلاط الملكى .

عـلى الجريب الواحد درهماً وقفيزاً مهما يكن حاله من الخصب أو الجدب . أما الجـزية فعـلى ما يروى أنها لم تكن عندهم قبل أنوشروان بن قباذ وأنه هو الذى وضعها حينما عدل قوانين دولته وكان قد أصدر قانوناً بالزام الناس الجزية ما خلا العظمـاء وأهل البيوتات والجند والمرازبة والكتاب ومن فى خدمة الملك كل إنسان على قدره فجعلها أثنى عشر درهماً وثمانية دراهم وستة دراهم وأربعة دراهم .

وكـانوا قـد جعلوا فى كل مدينة ديواناً خاصاً بالخراج تدون فيه أعماله ودخلـه وخرجه وله كتاب وجباة وعمال من أهل البلاد، وعلى كل مدينة حاكم يسوسـها ويديـر دفـة إدارتها ويرأس جندها وقد أطلقوا على الولاة الكبار اسم الموهـباط مـن الفارسـية مه آباد وعلى الذى يتولى الحدود مرزبانا (أى حافظ الحدود) وعلى العمال الذين هم أحط منزلة اسم الرد، وكانوا لا يولون الولاية إلا القائد محنك يعهدون إليه الحرب والإدارة أى القيادة والولاية .

وكـان هـؤلاء الملوك يقيمون أيام الشتاء فى مدينة أكتسيفون المدائن التى صـارت فى آخـر أيـامهم أعظم مدينة ويقضون المواسم الثلاثة الباقية فى مدينة اضـطخر بفـارس ثم صاروا أخيراً يقضون أكثر أيامهم فى أكتسيفون ، وقد سموا بالأكاسـرة منذ أيام كسرى أنوشروان بن قباذ ومعنى كسرى واسع الملك وجمعه أكاسـرة وعاشـت هذه الدولة ٤٢٥ سنة (٢٢٦ م - ٦٥١ م) وقام فيها ٢٨ مـلكاً أولهـم أرد شـير بن بابك وآخرهم يزدجر الثالث الذى قتل سنة ٦٥١ م الموافقة لسنة ٣١ هـ فى عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه وبقتله انقرضـت هـذه الدولة ومحيت من عالم الوجود على يد العرب المسلمين بعد أن كانت من أكبر دول العالم وتشتمل على بلاد إيران والديلم وجورجان وبلاد بابل (العـراق) وبـلاد أشـور التى فى ضمنها كردستان وبلاد الجزيرة (بين النهرين) وجزائر خليج فارس وقسم من بلاد العرب منها بلاد اليمن .

ولم يكن سبب انقراض هذه الدولة العظيمة المجد المترامية الأطراف غير الانقسامات التى حدثت فيها والثورات الأهلية المتوالية والفتن المستمرة بين الأسرة المالكة تارة وبين رجال الدولة أخرى والحروب التى كانت تقوم بينهم وبين الروم فى أزمان مختلفة أهمها الحروب التى استعرت نارها فى عهد أبرويز حتى تمكن الضعف منها فتمكن العرب المسلمون من محوها واستولوا على جميع بلادها بالتدريج فأنهم قرضوا دولتهم من العراق سنة ٦٣٧ م الموافقة لسنة ١٦ هـ ثم قرضوها من بلاد فارس سنة ٦٥١ م الموافقة لسنة ١٦ هـ وأصبحت هذه الدولة منذ ذاك فى خبر كان .

ولم تقم بعد الدولة الساسانية دولة للفرس فى العراق أعواماً طوالاً بل أنتقل الحكم فى هذا القطر بعد انقراضهم إلى الخلفاء الراشدين ثم إلى بنى أمية ثم إلى بنى العباس حتى إذا ما ضعف شأن الخلافة العباسية فى بغداد فى الوقت الذى قامت فيه دولة فارسية فى بلاد فارس على يد بنى بويه طمع هؤلاء فحملوا على بغداد وأسسوا فيها دولة فارسية فى سنة ٣٣٤ هـ الموافقة لسنة ٨٤٥ م ثم تلتها الدولة الصفوية بعد حين من الدهر ثم الدولة الزندية فى العهد العثمانى وسنذكر ذلك فى محله :



الدولة البهويهية الفارسية

في العراق

أو الدولة الفارسية الخامسة في العراق

٣٣٤ هـ - ٤٤٧ هـ

٩٤٥ م - ١٠٥٥ م

بدء دولة بني بوية

تمهيد :

ابـــتدأت هذه الدولة بقيام ثلاثة أخوة أبو الحسن على وأبو على الحســـن وأبو الحسن أحمد أولاد أبي شجاع بويه بن فناخسرو الذى يتصل نسبه على ما قيل إلى مـــلوك الفرس القدماء [١] وكان أبوهم أبو شجاع قد سكن بلاد الديلم ونشأ أولاده فيها ثم خرجوا مع من خرج من بلاد الديلم [٢] من أهل العصابات والثورة مـــن دعاة العلويين ليفسدوا على العباسيين فدخل الأخوة الثلاثة فى جيش ما كان ابـــن كـــالى فـــلما أدبر أمر ما كان التحقوا بمرداويج مؤسس الدولة الزيارية فى

---

(١) ويـــروى أن نســـبه يرتفع إلى يزدجر الثالث الساسانى وقيل إلى مهر نرسى وزير بهرام جور الأول .

(٢) الديلم جيل من الفرس وكانوا من السبعة ولم يكن بنو بويه من الديلم بل أن أنصارهم ورجالهم من الديلم ومن الجيلان وراء خراسان (وهى البلاد الممتدة على سواحل بحر خزر من جنوبه الغربى) ولهذا لقبت دولتهم بالديلمية كما لقبت بالبويهية أيضاً .

(طبرستان وجرجان والرى وقزويين وهمدان وأصبهان وغيرها) فتقلد كل واحد منهم ناحية من الجبل سنة ٣٢١ هـ الموافقة لسنة ٩٣٣ م وكان أكبرهم وهو أبو الحسن على على بلاد الكرج التى كانت فى العراق العجمى بين أصفهان وهمذان وكان عالى الهمة فكثر اتباعه واتباع أخويه ثم حصلت بينه وبين مرداويج وحشة فأنتقض عليه وسار إلى أصفهان وملكها ثم استولى على أرجان (جرجان) وعلى أثر ذلك كاتبه أهل شيراز يستدعونه فسا إليهم سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م فقاتله ياقوت عامل الخليفة ولكنه فشل وانهزم ودخل على شيراز فدانت له بلاد فارس كلها واشتهر ، ولما قتل مرداويج انضمت عساكره إلى على هذا وكان الخليفة يومئذ أراضى بالله فكتب إليه على والى وزيره على بن مقلة يطلب تقرير البلاد عليه بألف ألف درهم (مليون) فى السنة فأجيب إلى ذلك وبعثوا إليه بالخلع واللواء ولما قوى أمر على أقطع أخاه الحسن أصفهان وأخاه أحمد كرمان وأقام هو بفارس ملكاً عاماً إلى أن مات سنة ٣٣٨ هـ بعد أن أسس أكبر دولة فارسية شيعية فى الشرق .

وأول غارة شنها البويهيون على العراق كانت فى سنة ٣٢٦ هـ الموافقة لسنة ٩٣٧ م وذلك أن أبا عبد الله البريدى كان قد أنهزم من ابن رائق وبحكم التركى (يحكم) المتغلبين على الخلافة ببغداد وسار إلى أصطخر مستنجداً بعلى بن بويه فأرسل أخاه أحمد لأخذ العراق فسار هذا بجيوشه حتى وصل أرجان فلاقاه هناك بحكم والى مدينة واسط وكان قد سار لصده وبعد عدة معارك انهزم بجكم إلى الأهواز فتقدم أحمد إلى عسكر مكرم وقاتل حاميتها الذين تركهم فيها بجكم فهزمهم ففروا إلى تستر ثم سار أحمد الأهواز وملكها عنوة وفر بجكم إلى واسط وعلى أثر ذلك حدث خلاف بين أحمد وبين ابن البريدى فهرب الثانى فعلم بأختلافهم بجكم فأرسل جيشاً واسترد الأهواز وأكثر البلاد التى أستولى عليها أحمد

فلما فشل أحمد استنجد بأخيه على فأمده بالجيوش فعاد وأستولى على الأهواز ، أما بجكم فأنه سار من واسط إلى بغداد وأستولى عليها وقلده الخليفة الراضى بالله إمارة الأمراء خوفاً من شره وذلك سنة ٣٢٩ هـ وكان ابن البريدى بعد أن فر من أحمد قد أقام بالبصرة وصار يراسل بجكم ويحرضه على المسير إلى الجبل ليرجعها من الحسن بن بويه ثم يسير إلى الأهواز فيستردها من أحمد بن بويه واتفق معه فأمده بجكم بخمسمائة فارس وسار هو إلى حلوان فى أنتظاره وبقى ابن البريدى يتربص ببجكم وينتظر أن يبعد عن بغداد فيهجم هو عليها فأدرك ذلك بجكم فرجع إلى بغداد . ولما عظمت الفتن فى بغداد وتوالت الأضطرابات فى العراق وتولى إمارة الأمراء توزون التركى (تورون . أوطوسون) كان أحمد مقيماً بالأهواز يراقب كل ما يجرى فى بغداد من الأعمال ويأخذ الأخبار عن الحوادث التى تقع فيها فأغتنم فرصة نكبة الخليفة المتقى بالله فحمل بجيشه إلى واسط سنة ٣٣٣ هـ فلاقاه توزون والخليفة المستكفى بالله فحمل بالعساكر فرجع أحمد إلى الأهواز وظل يترقب الفرص ولما اشتدت الفتن فى بغداد وضاقت بها الجبايات على العمال وخلاً بيت المال وأمتدت الأيدى إلى أموال الناس وزاد ظلم الأتراك فى العراق وتقاعد الناس عن الأعمال فغلت الأسعار وقطعت الطرق وأصبحت البلاد العراقية فوضى واضطرب حبل الأمن وتولى إمارة الأمراء زبرك بن شير زاد التركى وأخذ أهل بغداد بالجلاء عنها خصوصاً التجار خوفاً من المصادرات وضاق الأمر بالناس وسئموا تجبر الأتراك وظلمهم وغدرهم بالخلفاء استغاثوا بأحمد بن بويه سراً وكتب إليه أحد القواد الأتراك المدعو ينال كوشه يطعمه فى العراق (كتب إليه بغضه لزيرك بسبب ما كان بينهما من العداوة) فنهض أحمد مغتنماً فرصة تلك الفتن المخزنة وسار بجيوشه الديلم من الأهواز مسرعاً فخرج إليه زيرك بمن معه من جيوش الاتراك وقبائل الأكراد الذين جمعهم فالتقى الفريقان وبعد معارك هائلة

انهــزم زيرك بمن معه وسار قاصداً الموصل بعد أن تولى الإمارة ثلاثة أشهر وأختفى الخليفة فى داره ببغداد وخاف خوفاً شديداً وأضطرب الناس .

أمــا أحمد بن بويه فأنه قدم كاتبه حسن المهلبى فلما دخل هذا بغداد ظهر الخـــليفة المستكفى ودعى المهلبى إلى داره وأظهر له السرور والفرح بانتصار أحمد وقدومه .

ثم دخل أحمد بغداد فى شهر جمادى الأولى سنة ٣٣٤ هـ بأستقبال عظيم وذهب إلى دار الخليفة وأجتمع به فولاه الإمارة وحلف له وخلع عليه وألبسه طوقاً مــن الذهب وسوره بسوارين من الذهب وفوض إليه تدبير المملكة وعقد له لواء وأمــر أن يخطــب له عــلى المنابر ولقبه معز الدولة ولقب أخاه علياً عماد الدولة وأخاه الحسن ركن الدولة وأمر بضرب ألقابهم على الدراهم والدنانير .



معز الدولة

أحمد بن بويه[1]

سنة ٣٣٤ هـ - ٣٥٦ هـ

لما استتب أمر معز الدولة فى العراق ورتب شؤون البلاد أقام ببغداد فأستأمن إليه أبو القاسم البريدى من البصرة وكان حاكماً عليها وضمن له واسط وأعمالها فعقد له عليها فى السنة نفسها ٣٣٤ هـ ، وعلى أثر ذلك حجر معز الدولة على الخليفة وقدر له برسم النفقة كل يوم خمسة آلاف درهم (وهو أول من فعل ذلك من البويهيين وأول من ملك بغداد منهم) وبعد قليل حدثت بينه وبين الخليفة وحشة ورآه يسعى فى أعادة حقوق الخلافة المغصوبة فعزم على خلعه فأجتمع به فى قصر الخلافة فى محفل حافل وبينما هم جلوس دخل اثنان من كبار الديلم وتناولاً يد الخليفة فظنهما يريدان تقبيلها فمدها فجذباه عن سريره ووضعا عمامته فى عنقه وأخذ بخناقه وساقوه ماشياً إلى دار معز الدولة فى أسوأ حال وهناك خلعوه واعتقلوه وسلموا عينيه وظل فى دار السلطنة معتقلاً حتى توفى فى سنة ٣٣٨ هـ .

أما معز الدولة فأنه لما ساق أصحابه الخليفة نهض من دار الخلافة وسار إلى داره فضربت البوقات والطبول ونهب الديلم ما فى قصر الخلافة من الأموال الثمينة فأستاء الأهلون ونقموا على معز الدولة فأضطربت بغداد، فلم يبال معز بشىء بل

---

[1] انظر المزيد فى : وفيات الأعيان ١/ ٥٦ ، تجارب الأمم ٦/ ١٤٦ و ٢٣١ .

أنــه جمع رجاله وأحضر أبا القاسم الفضل بن المقتدر فبايعه بالخلافة وأخذ له البيعة العامة فلقبوه المطيع لله (٣٣٤ هـ - ٣٦٣ هـ) (٩٤٥ م - ٩٧٣ م) ومنذ ذاك أغتصب معز الدولة ما بقى من حقوق الخلافة ولم يبق للخليفة غير كاتب يدبر أملاكه واقطاعه التى تركها له ليسد بها حاجاته . وأصبحت سلطة الخلافة مسلوبة تمامــاً ولم يــبق لخليفة غير الأسم والتوقيع على المناشير وصارت الوزارة من جهة البويهيين بعد ما كانت من جهة الخلفاء .

وظــل السعد يخدم معز الدولة حتى بلغ مالم يبلغه أحد قبله فى الإسلام إلا الخلفاء .

الحرب فى بغداد

عــلى أثر خلع الخليفة المستكفى [١] ومبايعة المطيع جهز ناصر الدولة بن حمــدان صاحب الموصل جيشاً كبيراً لقتال معز الدولة وطرده من بغداد لأنه سائه استيلاء معز الدولة على بغداد وخلعه المستكفى وسلبه حقوق الخلافة . فبلغ ذلك معز الدولة فجهز جيشاً وأرسله لملاقاته بقيادة موسى بن فيادة وينال كوشة التركى فالــتقى الجيشان فى عكبرا فأنتصر ناصر الدولة وتقدم قليلاً فأضطر معز الدولة إلى تجهيــز جيــش جديد قاده بنفسه وأخذ معه الخليفة فحدثت بين الفريقين حروب شــديدة فأرســل معز الدولة فى أثناء ذلك القائد زيرك بن شير زاد التركى (الذى الــتحق بــه) بفرقة من عساكره إلى بغداد لخلوها من الجيوش فأستولى عليها زيرك

---

(١) انظر المزيد فى : الكامل ٨/ ١٣٧ - ١٤٨ ، تاريخ الخميس ٢/ ٣٥٣، نكت الهميان ١٨٢، النبراس ١٢٠، مروج الذهب ٢/ ٤٢٠ - ٤٢٩، تاريخ بغداد ١٠/١٠ .

بغـــتة بأســـم ناصر الدولة وعلى أثر ذلك توجه ناصر الدولة من سامر إلى بغداد فأنحاز إليه ينال كوشه ومن معه .

فبلغ ذلك معز الدولة فسار ومعه الخليفة والجيوش إلى بغداد فوجدوا ناصر الدولـــة قـــد دخلها فاقتحموها فدخلوا الجانب الغربى منها، وأنقسمت المدينة إلى شطرين، الجانب الشرقى فى قبضتة ناصر الدولة ابن حمدان [١]. والجانب الغربى بيد معـــز الدولة البويهى . فحدثت بين الفريقين عدة معارك هائلة داخل المدينة دامت أيامـــاً . نهب فى أثنائها الديلم كثيراً من أموال الناس حتى قال بعضهم أنهم نهبوا ما يقـــدر بعشـــر ملايـــين مـــن الدنانير، وضاق الحال بمعز الدولة حتى أنه عزم على الانســـحاب إلى الأهواز فحملت جنوده حملة عنيفة نهائية فأنتصرت وأضطر ناصر الدولـــة إلى الانسحاب فخرج من بغداد وعاد إلى مقره وذلك فى محـــــرم سنة ٣٣٥ هـــ الموافقة لسنة ٩٤٦ م [٢] ثم جرت بينهما مراسلات فتم الصلح بينهما عـــلى أن يحمل ناصر الدولة إلى معز الدولة مبلغاً من المال فى كل سنة عن الموصل وديار بكر وديار مضر والجزيرة .

---

(١) هـــو الحسن بن أبى الهيجاء عبد الله بن حمدان التغلبى من ملوك الدولة الحمدانية كان صاحب الموصل وما يليها. ولقبه المتقى العباسى بناصر الدولة وخلع عليه وجعله أمير الأمـــراء وهـــو أخـــو سيف الدولة وأكبر منه . كان شجاعاً مظفراً، عارفاً بالسياسة والحروب . عاقلاً ولما توفى أخوه سنة ٣٥٦ هـــ أصيب بالسويداء ، فحجر عليه بنوه وســـيره ابـــنه فضل الله (الغضنفر) من الموصل إلى قلعة أردمشت، مرفها فتوفى فيها ، ونقل إلى الموصل . وكانت إمارته اثنتين وثلاثين سنة . وكان يدادى بنى بويه .

انظر المزيد فى : وفيات الأعيان ١/ ١٤٠ .

(٢) ويـــروى أن ناصـــر الدولة لما بلغته أعمال معز الدولة أمتنع عن دفع المال المقرر إلى الخلافـــة عـــن البلاد التى يحكمها فحمل عليه معز الدولة وجرت من أجل ذلك هذه الحروب .

الاضطرابات في العراق

وفى السنة نفسها ٣٣٥ هـ أنتقض أبو القاسم بن البريدى بالبصرة فأرسل معز الدولة جيشاً لقتاله فبلغ ذلك ابن البريدى فسير جيوشه للقتال فالتقى الجمعان فى واسط فدارت الدائرة على جيش ابن البريدى وبلغه خبر الهزيمة فجهز جيشاً ثانياً فخرج معز الدولة من بغداد بجيش كبير ومعه الخليفة المطيع لله قاصداً طرد ابن البريدى من البصرة فلما وصل إلى الدرهمية أستأمن إليه جيش البصرة فأضطر ابن البريدى إلى الهرب وفر إلى القرامطة فدخل معز الدولة ومن معه البصرة وذلك فى ٣٣٦ هـ بعد أن نظم شؤونها ولى عليها وزيره حسن المهلبى ورجع إلى بغداد .

ولما كانت سنة ٣٣٧ هـ امتنع ناصر الدولة ابن حمدان عن إرسال المال المقرر إرساله إلى بغداد فحمل عليه معز الدولة بجيوشه الديلم فلما اقترب من الموصل فر ناصر الدولة إلى نصبين فدخل معز الدولة الموصل بدون قتال ، وبينما هو عازم على مطاردة ناصر الدولة بلغه قدوم الجيوش الخراسانية على جرجان والرى لقتال أخيه فأضطر إلى مصالحة ناصر الدولة فتم الصلح بينهما على أن يؤدى ابن حمدان عن بلاده مليوناً من الدراهم فى كل سنة، وأن يخطب لبنى بويه فى جميع بلاده . الموصل والجزيرة وسنجار ونصيبين والرحبة ورأس العين والخابور .

فرجع معز الدولة إلى بغداد . فأنقطعت الاضطرابات أكثر من ثلاث سنوات فى العراق فحمل فى سنة ٣٤١ هـ يوسف بن وجيه صاحب عمان على

البصــرة وحاصــرها أيامــاً فقاتله أميرها حسن المهلبى حتى أضطره إلى الرجوع بالفشل.

فهــدأت الأحوال إلى سنة ٣٤٧ هــ فأمتنع ابن حمدان عن تأدية ما عليه مــن المــال فزحف عليه معز الدولة لأخذ بلاده فأنهزم ابن حمدان إلى حلب وبعد مراســلات تصالحا وعاد كل منهما إلى مقره على أن يدفع ابن حمدان فى كل سنة مليونين من الدراهم عن بلاده إلى معز الدولة .

ولم تمــض ســنة على ذلك الصلح حتى فسدت نية معز الدولة على ناصر الدولــة فحمل عليه بجيوشه ومعه وزيره المهلبى وحجته فى ذلك تأخير أرسال المال المقرر (والظاهر أنه كان يريد أضعافه أو محو حكومته لئلاً تكون بجانبه إمارة عربية قويــة) ولما أقترب ابن بوية من الموصل فر ابن حمدان إلى نصيبين ثم بدأت غارات بعضهم على بعض حتى ضعف أمر ابن حمدان فأضطر إلى الهرب إلى حلب عند أخيه ســيف الدولة وكتب إلى معز الدولة يسأله الصلح فأبى وحجته فى ذلك أنه خالف مــرة بعــد مرة فأضطر سيف الدولة إلى أن يكون ضمان البلاد التى لاخيه ناصر الدولة بأسمه وتعهد بدفع مليونين وتسعمائة ألف درهم سنوياً وأن يكون الحكم فيها لأخيــه فتم الصلح وعاد كل منهما إلى مقره وذلك فى سنة ٣٤٨ هــ وبعد مضى خمــس ســنوات امتنع ناصر الدولة عن دفع الضمان السنوى (أى المال) فعادت الحــرب بــين الفريقين وحمل معز الدولة على الموصل فأنهزم منها ناصر الدولة إلى نصــيبين فلحقه معز الدولة فلما اقترب منه فر منها إلى جزيرة ابن عمر وبينما معز الدولة يتتبع أثار ناصر الدولة فى جزيرة ابن عمر إذ حمل ناصر الدولة على الموصل بغته ومعه أولاده وجيوشه فدخلها وفتك بالديلم وأسر كبرائهم وغنم جميع ما فيها مــن الأموال والذخائر التى لمعز الدولة فأضطر الأخير إلى عقد الصلح فتم بينهما وعاد معز الدولة إلى بغداد .

ولم تمض مدة قصيرة على هذه الحادثة حتى شغب الجند فى بغداد على معز الدولـــة بسبب تأخير مرتباهم . ولما كان المال الموجود غير كاف للجند أضطر معز الدولة إلى أخذ أموال الناس بالباطل فصادر بعض المثرين من أهل الوجاهة فلم يغنه ذلك شيئاً فمد يده إلى ضياع الخلافة وضياع الملاكين وسلمها إلى قواده ليزرعوها ويـــأخذوا مرتباهم من غلتها ولم يكتف بهذه الأعمال المخالفة للعدل بل أنه لما بنى ســـنة ٣٥٠ هـــــ قصره المعروف بالدار المعزية فى محلة الشماسية (السليخ اليوم) وصـــرف عليه نحو مليون دينار واحتاج إلى المال صادر جماعة من رجال الحكومة ثم احتاج إلى المال لأمور أخرى فأعطى القضاء بالضمان (بالالتزام) فضمنه عبد الله بن الحسن بن أبى الشوارب بمائتى ألف درهم سنوياً يدفعها إلى بيت المال ببغداد وسمى قاضى قضاة بغداد (وهو أول من ضمن القضاء فى الإسلام) [1].

وفى أيـــام معز الدولة أسست الإمارة الشاهينية بالبطيحة فى العراق فى سنة ٣٣٨ هـــــ أسسها عمران بن شاهين من أهل الجامدة [2] بعد أن حدثت بينه وبين معـــز الدولـــة حروب عديدة وعجز معز الدولة عن قهره حتى اضطر إلى مصالحته وتقـــليده إمـــارة البطائح [3] ثم خرج على معز الدولة فى سنة ٣٥٤ هـــ وظلت الديلم تقاتله تحت قيادة أبى الفضل العباس بن الحسن مدة طويلة فمات معز الدولة فى سنة ٣٥٦ هـــ فأضطر جيشه لمصالحته .

---

[1] ومـــنذ ذلـــك الحين صاروا يعطون القضاء بالضمان فى أكثر الأحيان ثم صاروا يعطون الحسبة والشرطة وغيرهما بالضمان أيضاً .

[2] الجـــامدة قرية كبيرة من أعمال مدينة واسط بينها وبين البصرة ظلت عامرة إلى القرن السادس للهجرة .

[3] والبطائح أو البطيحة هى أرض بين البصرة والكوفة فيها قرى وطايح ومستنقعات وكان خراجها كثيراً خصوصاً فى أيام بنى أمية .

وفى أيام معز الدولة جرى فى بغداد مأتم رسمى فى يوم عاشوراء على الحسين ابـــن الإمام على بأمر أصدره فى سنة ٣٥٢ هـــ قضى بأغلاق جميع الأسواق وبمنع الطـــباخين مـــن الطبخ وبإخراج نساء يلطمن فى الشوارع ويقمن العزاء للحسين. وهـــذا أول يوم جرى فيه مأتم رسمى على الإمام بن الإمام . ومعز الدولة هذا أول من فعل أرضاء لأبناء مذهبه الشيعة .

ومـــات معز الدولة ببغداد فى ١٣ ربيع الآخر سنة ٣٦٥ هـــ وكان ولى عهـــده ابنه بختيار الملقب بعز الدولة . ووزيره الحسن المهلبى . وحاجبه سبكتكين . وكاتبيه أبو الفضل العباس بن الحسين وأبو الفرج محمد بن العباس .

عز الدولة بختيار [1]

٣٥٦ هـــ - ٣٦٧ هـــ

لمـــا مات معز الدولة ببغداد فى ١٣ ربيع الآخر سنة ٣٥٦ هـــ وكان ابنه بخـــتيار المـــلقب بعـــز الدولة ولى عهده تولى الأمر بعده فأصدر الخليفة المطيع لله منشـــوره فى ذلـــك وخلع عليه ولقبه عز الدولة. وأول شىء فعله عقد الصلح مع عمران بن شاهين أمير البطائح .

ولم يكن عز الدولة كأبيه فى السياسة والتدبير بل كان ضعيف الرأى سيء الـــتدبير مشغولاً بالملاهى مسيئاً إلى رجال حكومته حتى أنه طرد كبار الديلم طمعاً فى إقطاعاتهم وسبب ذلك شغب الجند عليه ببغداد وكانوا يومئذ طائفتين — الديلم

---

(١) انظر المزيد فى : يتيمة الدهر ٢/ ٤ .

والأتــراك – فتوالت الفتن بسبب سوء تدبيره وقلت الأموال وكثرت حروبه مع أمــراء الــبلاد المجــاورة له كالموصل والبصرة وغيرها حتى زالت هيبته وطمع به أعــداؤه. وانقطع عنه سبكتكين التركى لسوء سيرته وعصى بالبصرة أميرها أخوه حبشــى ابن معز الدولة وثار عليه فى سنة ٣٥٧ هــ فأرسل عز الدولة وزيــــره أبا الفضل العباس بن الحسين فأنتصر الوزير على حبشى وقبض عليه وصادر أمواله التى بالبصرة وأرسله مخفوراً إلى أخيه عز الدولة ببغداد فحبسه .

ثم ثــار فى سنة ٣٥٩ هــ أمير البطيحة عمران بن شاهين فسار لقتاله عز الدولة حتى نزل بواسط ثم أمر وزيره أبا الفضل أن ينحدر إلى الجامدة فأنحدر إليها بــالجيش وحاصر البطيحة فطال أمد الحصار – وعز الدولة بواسط ينتظر الظفر – فضــجر الجيــش وثار على أبى الفضل فأضطر إلى عقد الصلح مع عمران وصالحه عــلى مال يرســـله فى كل سنة إلى عز الدولة ، فعاد الجميع إلى بغداد وذلك فى سنة ٣٦١ هــ .

وفى هــذه الســنة ٣٦١ هــــ جــاء إلى بغداد فريق كبير من المسلمين مستصرخين بما فعل الروم فى الجزيرة ونصيبين فثارت عامة بغداد تريد حرب الروم فطــلب عــز الدولة من الخليفة مالاً لتجهيز الجنود فقال له الخليفة : تلزمنى النفقة عــلى الحرب إذا كانت البلاد فى يدى وتجبى إلى الأموال . أما إذا كانت حالى هذه فــلا يلزمنى شىء وأنما يلزم من فى يده البلاد ، وليس لى إلا الخطبة فإذا شئتم أن اعــتزل فعلت ، فلم ينفع الخليفة احتجاجه ، وهدده عز الدولة فخاف على نفسه مــن القــتل ولم يكن عنده مال فأضطر إلى بيع أنقاض داره وأثاثها وثيابه فجمعت أربعمائــة ألــف درهم فسلمها إلى عز الدولة فشاع أن الأمير صادر الخليفة ، ولما قبض عز الدولة المال صرفه على مصالحه وتقاعد عن الحرب فأنقطع حديث الناس عن الحرب .

الفتنة

بين الديلم والأتراك

دخلت سنة ٣٦٣ هـ فسار عز الدولة إلى الأهواز فحدثت هناك فتنة بين الديلم والأتراك أدت إلى حرب دموية بين الطرفين فأنتصر عز الدولة للديلم وأعتقل رؤساء الأتراك ففتك الديلم بالأتراك . وبلغ ذلك من فى البصرة من الديلم فنودى بالبصرة أبا باحة دماء الاتراك فقتل منهم عدد كبير . واستولى عز الدولة على إقطاع سبكتكين التركى (حاجب أبيه معز الدولة) .

وبلغ ذلك سبكتكين وهو يومئذ ببغداد فثار بمن معه من الأتراك ونهب دار عز الدولة . واستولى على حكومة بغداد وطلب من الخيفة المطيع لله أن يخلع نفسه ويسلم الخلافة إلى ابنه عبد الكريم وكان المطيع قد أصيب فى هذه السنة ٣٦٣هـ بالفالج وثقل لسانه وتعذرت الحركة عليه ، فخلع نفسه وبايع لابنه عبد الكريم ولقبه الطايع لله فتمت له البيعة ٣٦٣ هـ - ٣٨١ هـ .

أما عز الدولة فأنه كان قد سار من الأهواز إلى البصرة ثم سار إلى واسط فبلغه ما حدث ببغداد فتوجه إليها فلما وصلها ورأى الأتراك قد استولوا على الدولة أخذ يدبر المكيدة على سبكتكين إلى داره للعزاء فيقبض عليه ، ففعلوا ذلك، غير أن سبكتكين لم تفته هذه الحيلة فحاصر دار عز الدولة ثم وضع النار فيها فخرج أهلها وطلب عز الدولة الذهاب إلى واسط بمن معه فأذن لهم سبكتكين فأنحدروا فى دجلة ومعهم الخليفة الطايع (وفى الحقيقة أنه طايع) فبلغ سبكتكين

خروج الخليفة معهم فأرسل جماعة من رجاله لإرجاعه فردوه إلى بغداد وقـــرى أمـــر الأتراك ببغداد وعلى أثر ذلك استولى سبكتكين على جميع ما كان لعز الدولة مـــن الأمـــوال المنقولة والثابتة فتحمس الديلم الذين فى بغداد وثاروا فنهبوا أموال الأتـــراك فحدثت من جراء ذلك فتنة عظيمة وأنقسم البغداديون إلى حزبين السنة وهم أنصار الأتراك والشيعة وهم أنصار الديلم وبعد قتال دام بضعة أيام فى شوارع المدينة وأسواقها انتصر السنة وأحرقوا دور الشيعة ثم هدأت الأحوال من نفسها .

أما عز الدولة فأنه عندما وصل مدينة واسط استنجد بابن عمه عضد الدولة المســـتقل ببلاد فارس فلما علم الثانى بضعف أمر الأول وما فعله الأتراك معه عزم عـــلى المســـير لنصـــرته فسار فى عساكر فارس سنة ٣٦٤ هـــ قاصداً واسط ولما وصلها وأجتمع بعز الدولة اتفقا على أن يسير عضد الدولة إلى الجانب الشرقى من بغـــداد ويسير عز الدولة إلى الجانب الغربى منها فيحاصرها من جميع الجهات . ثم ســـاروا بالجيوش على تلك الخطة حتى أحاطوا بالمدينة . وكان سبكتكين قد مات قـــبل أن يحاصرا بغداد فخرج إليها عضد الدولة والتقوا بالقرب من تكريت وبعد عدة معارك وولى الأتراك مكانه أفتكين التركى فتجهز هذا لصد جيوش الديلم فلما أحاطوا ببغداد اتخذ خطة الدفاع ودافع هو رجاله دفاعاً شديداً وفى أثناء ذلك غلت الأســـعار وقـــلت الأقوات حتى احتاج أفتكين إلى الطعام واضطر إلى كبس بيوت البغداديين فكبسها وأخذ منها كل ما وجده من الطعام فأضطرب حبل الأمن وكثر الـــنهب والسلب فى المدينة وسادت الفوضى فيها وأخيراً اضطر أفتكين إلى منازلة عدوه خارج المدينة فخرج إليه وقاتلت جنوده قتالاً شديداً وبعد معارك هائلة انهزم بمن معه إلى تكريت وأستولى عضد الدولة وعز الدولة على بغداد .

ولما كان عضد الدولة طامعاً فى العراق وعالماً بضعف عز الدولة وقلة المال عـــنده أغرى الجنود على أن يثروا عليه ويطالبوه بنفقاتهم فشغبوا عليه وبالغوا فيه فأحـــتار عز الدولة لأنه كان لا يملك شيئاً من المال فأشار عليه عضد الدولة بعدم الاكتراث بهم والتظاهر بالتنازل عن الملك فظنه عز الدولة لضعف رأيه أنه ناصحاً ومدبراً ففعل ما أشار عليه وأغلق باب داره وصرف حجابه وكتابه فشاع فى المدينة أن عـــز الدولـــة قـــد تخلى عن الملك فأجتمع رجال الحكومة والجنود حول عضد الدولة ففرق على الجيوش الأموال وجلب إليه قلوبهم فنودى له بالملك .

ولما نجح عضد الدولة فى حيلته اعتقل عز الدولة وأخوته وصفى له الجـــو ببغداد .

وعلى أثر ذلك ثار فى سنة ٣٦٤ هـــ المرزبان بن عز الدولة وكان متولياً عـــلى البصـــرة من قبل أبيه وكاتب أمراء البلاد يطلب منهم نصر أبيه فكتب إلى ركـــن الدولـــة يخبره بما فعل أبنه عضد الدولة بأبيه فغضب ركن الدولة لهذا الأمر وكـــتب إلى أبنه يأمره بأن يعيد الملك إلى عز الدولة فأجابه يعلمه بضعف رأى عز الدولة وأنه لا يقدر على ضبط الملك وتدبيره وأنه إذا ترك العراق له ربما ضاع من بـــنى بويه كافة . فأساء أبوه الرد عليه وحبس وزيره ابن العميد أبا القاسم فأحتال الوزير على ركن الدولة حتى أقنعه على شرط أنه إذا أطلقه من السجن يعيد الملك إلى عـــز الدولة فأطلقه على هذا الشرط فسار إلى بغداد وخوف عضد الدولة من أبيـــه وحذره عاقبة التعنت وصادف ذلك انتفاض بعض العمال على عضد الدولة واتفاق الأمراء الذين راسلهم ابن عز الدولة على قتاله اجتماع كلمتهم على نصر أبيـــه فخشـــى عضد الدولة عاقبة الأمر فأخرج عز الدولة من السجن وأعاده إلى منصبه وسار عن بغداد راجعاً إلى مقره وأستلم عز الدولة زمام الأمور .

ولمـا مات ركن الدولة سنة ٣٦٦ هـ وتولى ملكه أبنه عضد الدولة كان عـز الدولة يسعى فى اجتذاب الأمراء إليه ليقوى بهم عضد الدولة حتى أنه أغرى بعضهم فى الانتقاض عليه فعلم ذلك عضد الدولة فعزم على أخذ العارق منه وسار بجـنوده نحـوه فخرج عز الدولة إلى واسط لصده وبعد معارك شديدة اندحر عز الدولـة وتحصن فى واسط وطلب الصلح فترددت الرسل بينهما أياماً بدون فائدة وأخيراً صار عضد الدولة إلى بغداد ودخلها بسلام وكتب إلى عز الدولة يدعوه إلى الطاعـة ويأمره بالخروج من العراق إلى أى قطر شاء إلا الموصل فخرج عز الدولة من واسط قاصداً سورية وذلك سنة ٣٦٧ هـ الموافقة لسنة ٩٧٧ م .

عضد الدولة بن ركن الدولة [1]

٣٦٧ هـ - ٣٧٣ هـ

عـندما دخـل عضد الدولة بغداد خلع عليه الخليفة الطائع وتوجه بتاج مجوهـر وطوقه وسوره بسوارين على جرى العادة وقلده سيفاً من الذهب وعقد له لوائين أحدهما مذهب والآخر مفضض وكتب له عهداً قرئ بحضرته وأمر أن يخطب لـه عـلى المنابر بالملك وأن يضرب أسمه ولقبه على الدراهم والدنانير. ولما خرج عضد الدولة من قصر الخلافة أرسل إلى الخليفة هدية فاخرة نقلها خمسون حمالاً من جملـتها خمسون ألف دينار وألف ألف درهم (مليون) وخمسمائة ثوب من الحرير

---

(١) انظر المزيد فى : الكامل ٨ و ٩ ، بغية الوعاة ٣٧٤ ، البداية والنهاية ١١/ ٢٩٩ ، مرآة الجنان ٢/ ٣٩٨ ، يتيمة الدهر ٢/٢ ، وفيات الأعيان ١/ ٤١٦ .

وثلاثين صينية مذهبة فيها المسك والعنبر والكافور والند وغير ذلك من الثياب والفرش والخيل .

أما عز الدولة فأنه لما خرج من واسط قاصداً سورية ووصل حديثه الفرات وافاه أبو تغلب بن حمدان فى عشرين ألف مقاتل وكان من أنصاره فأتفق معه على قتال عضد الدولة وأخراجه من العراق فزحفاً على بغداد ودارت الدائرة على جيش ابن حمدان وانتصر عضد الدولة وأسر عز الدولة وقتله وقتل وزيره أبا طاهر محمد بن بقية بن على الملقب نصير الدولة وكانت بينه وبين عضد الدولة. وقد طلبه عضد الدولة بعد أن ملك بغداد وقتل عز الدولة فقبض عليه والقاه تحت أرجل الفيلة فقتل فأمر بصلب جثته فصلبت عند داره بباب الطاق ببغداد وذلك سنة ٣٦٧ هـ فرثاه أبو الحسن محمد بن عمران الأنبارى أحد العدول ببغداد بقصيدته المشهور التى مطلعها :

علو فى الحياة وفى الممات   لحق تلك إحدى المعجزات

ويروى أن عز الدولة لما قصد سورية كان معه حمدان ابن ناصر الدولة الحمدانى فأغراه حمدان على أخذ الموصل من أخيه أبى تغلب بن ناصر الدولة (وكان مغاضباً لأخيه) فلما وصل تكريت أوفد إليه أبو تغلب رسولاً يسأله القبض على حمدان وأرساله إليه وأنه إذا فعل ذلك سار إليه بنفسه ليقاتل عضد الدولة ويعيده إلى ملكه فقبض بختيار على حمدان وسلمه إلى رسل أبى تغلب فحملوه إليه فحبسه ثم سار بختيار بعشرين ألف مقاتل وأجتمع بأبى تغلب عند حديثة ومن هناك زحفاً على عضد الدولة وانشبت الحرب بينهما فأنتصر عضد الدولة وأسر بختيار ثم قتله وفر أبو تغلب بأصحابه راجعاً إلى الموصل. فنقم عضد الدولة على أبى تغلب لخيانة العهد والولاء وسار إلى الموصل فرحل عنها أبو تغلب إلى نصيبين فتبعته جنود عضد الدولة حتى أضطر إلى الهرب إلى أرضروم ومنها إلى غيرها وسار

إلى سورية وأخيراً قتل هناك وأنقرضت دولة الحمدانيين من الموصل بعد أن دامت نحو أربع وسبعين سنة أى منذ ولاية أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان فى خلافة المكتفى سنة ٢٩٣ هـ إلى أن استولى عضد الدولة عليها سنة ٣٦٧ هـ وطرد أبا تغلب ابن ناصر الدولة وضبط بلاده ولما تم الأمر لعضد الدولة فيها جعل عليها أبا الوفاء طاهر بن محمد وعاد هو إلى بغداد .

ولما تم أمر عضد الدولة فى العراق طمع فى الاستيلاء على البطيحة وأرسل جيشاً بقيادة وزيره المطهر بن عبد الله فهزمه الحسين بن عمران ولما لم يكن المطهر هزم قبلاً خاف سقوط منزلته عند عضد الدولة فقتل نفسه وعلى أثر ذلك صالح عضد الدولة أمير البطيحة الحسين على مال يأخذه منه كل عام .

وفى هذه السنة ٣٦٧ هـ اعتقل عضد الدولة أبا إسحاق إبراهيم الصابى[1] الكاتب المشهور ببغداد وعزم على إلقائه تحت أيدى الفيلة فشفعوا فيه ثم أطلقه سنة ٣٧١ هـ . وسبب ذلك هو أن إبراهيم كان كاتباً فى ديوان الإنشاء ببغداد عن الخليفة وعن عز الدولة بختيار بن معز الدولة ثم تقلد ديوان الرسائل سنة ٣٤٩ هـ وكانت تصدر عنه رسائل إلى عضد الدولة بما يؤلمه فحقد عليه . ولما مات الصابى سنة ٣٨٠ هـ رثاه الشريف الرضى بقصيدة بديعة أولها :

أرأيت من حملوا على الأعواد　　　أرأيت كيف خبا ضياء النادى

وبعد أن هدأت الأهوال شرع عضد الدولة فى عمارة بغداد فعمر جوامعها ومدارسها وأسواقها وجدد ما أندثر من الأنهار التى حولها وذلك سنة ٣٦٩ هـ وكانت قد خرجت المدينة من توالى الفتن والأضطرابات ومن الغرق الذى أصابها .

---

(١) انظر : بغية الوعاة للسيوطى .

مراراً أثناء اشتغال حكوماتها وأهلها فى الحروب والثورات التى اشغلتهن عن تحكيم السداد وعن تعمير كل ما خرب.

وفــتح عضد الدولة صدره للعلماء وناظرهم فى المسائل واكرمهم وشجعهم عــلى نشر العلوم والفنون ورغب الناس فى الاشتغال بذلك ونشطهم على توسيع نطــاق الزراعة والتجارة فزهت بغداد فى أيامه وتوفرت فيها الأموال وأمتلأ بيت المــال وقصــدها جماعــات من رجال العلم صنفوا له كتباً عديدة فى علوم مختلفة فأشــتهر بــبغداد فى أيامه جماعة من العلماء والحكماء والأدباء والأطباء وغيرهم . وبــنى فى ســنة ٣٧١ هــ مارستاناً كبيراً على طرف الجسر فى الجانب الغربى من بغــداد نقــل عليه كل ما يلزم له من الأدوية والآلات ورتب له ٢٤ طبيباً وفيهم الجراحون والكحالون والمجبرون وممن كان يدرس صناعة الطب فيه الطبيب إبراهيم ابــن بكــس وكان رئيس هذا المارستان الشيخ أبو منصور صاعد بن بشر الطبيب وهو أول من عالج الأمراض التى كانت تعالج بالأدوية الحارة بالأدوية الباردة ولما نجــح فى عملــه عين رئيساً لهذا المارستان . وكان يسمى المارستان العضدى وهو مدرسة للطب ومستشفى معاً .

وفى هــذه السنة ٣٧١ هــ أرسل عضد الدولة من بغداد القاضى أبا محمد ابن الطيب الأشعرى المعروف بابن الباقلانى سفيراً إلى قيصر الروم قسطنطين التاسع فسافر ابن الباقلانى إلى القسطنطينية يحمل جواب رسالة وردت على عضد الدولة من القيصر فى مسألة أدبية . وكان ابن الباقلانى هذا من أكبر رجال العلم والأدب فى العراق.

وأراد عضــد الدولــة أن تكون الخلافة فى ولد لهم فيه نسب فحمل الطايع عــلى أن يــتزوج بابنــته فتزوجها على صداق مائة ألف دينار فجمع الخليفة بهذا

الـزواج بين بنت عضد الدولة وبنت عز الدولة التى تزوجها قبلا على مثل ذلك الصداق .

وتوفى عضد الدولة ببغداد سنة ٣٧٣ هـ بعد أن أتسع ملكه فحمل نعشه إلى مشـهد الإمام على . وكان عاقلاً فاضلاً حسن السيرة والسياسة والتدبير محباً للعـلوم والفنون والعمران سعدت فى أيامه بلاد العراق وعاش العراقيون تحت راية عدله بهناء وسلام وهو أول من ضرب الطبل على بابه وأول من عقد له الخليفة لوائين وأول من تسمى بملك فى الإسلام .

وقـد أشـتهر عضد الدولة شهرة فائقة وملك بلاداً كثيرة عداً العراق لأن عمـه أبـو الحسن على الملقب عماد الدولة الذى هو زعيم هذا البيت ومؤسس دولـتهم كـان قد تبناه لعدم وجود ولد له وأحضره عنده وأكرمه وأجلسه على سرير المملكة وأمر الجنود بطاعته وعهد إليه بالملك على فارس بعده فلما توفى سنة ٣٣٨ هـ أستولى عضد الدولة على بلاد فارس ثم أستولى بعد قليل على كرمان سنة ٣٥٧ هـ وأقطعها لولده أبى الفوارس ولما مات أبوه ركن الدولة ٣٦٦ هـ أستولى على ممالكه أيضاً ثم حدثت بينه وبين ابن عمه عز الدولة بختيار وحشة كما تقـدم فأسـتولى على العراق ٣٦٧ هـ ثم حمل فى السنة نفسها على الموصل وما يتـبعها مـن البلاد التى كانت لبنى حمدان فأستولى عليها أيضاً ثم وقعت بينه وبين أخوته وحشة فأستولى على أكثر ما بأيديهم من البلاد حتى عظم أمره (ومن وزرائه الصاحب ابن عباد الأديب الشهير . وكان مؤدب عضد الدولة العلامة أبو الفضل محمد بن العميد الملقب بالأستاذ المتوفى سنة ٣٦٠ هـ) .

صمصام الدولة [١]

٣٧٣ هـ - ٣٧٧ هـ

وتـولى بعـد عضد الدولة أبنه صمصام الدولة أبو كاليجار فخلع عليه الخـليفة على جرى العادة وخطب له على المنابر ولكنه لم يكن كأبيه فأساء السيرة مـع العـراقيين وطرح عليهم كثيراً من الرسوم حتى أن أهل بغداد كادوا يثورون عـليه . فمن ذلك أنه لما احتاج إلى المال سنة ٣٧٥ هـ ضرب ضريبة على ثياب الحريـر والقطـن التى تنتج فى بغداد ونواحيها وأمر بإحصاء ما سيجىء من تلك الضـريبة فبلغت مليون درهم فى السنة وعلى أثر صدور هذا الأمر ثار أهل بغداد واجـتمعوا فى جـامع الخلفاء وعزموا على الامتناع من صلاة الجمعة فاضطربت الأحوال وأضطر صمصام الدولة إلى لغو هذه الضريبة .

ولـما كانت سنة ٣٧٣ هـ حدثت وحشة بين صمصام الدولة وبين أخيه شـرف الدولة أبى الفوارس وكان الثانى عالماً بعدم رضاء أهل بغداد وجنودها على صمصـام الدولـة وكرهـم له وشغبهم عليه لسوء تدبيره فأغتنم فرصة ذلك الأضـطراب وزحف من الأهواز على العراق بخمسة عشر ألف مقاتل من الديلم فأسـتولى على البصرة وولى عليها أخاه أبا الحسين ثم ولى عليها أبا طاهر ابن عضد الدولة .

---

[١] انظر : الكامل فى التاريخ وتاريخ الطبرى .

فبلغ ذلك صمصام الدولة فأرسل لقتاله جيشاً بقيادة الأمير أبي الحسن بن دبعـش فجهز شرف الدولة له جيشاً بقيادة الأمير دبيس بن عفيف الأسدى فأنهزم جيـش صمصـام الدولة وأسر قائده . ثم ولى فى سنة ٣٧٤ هـ حماية الكوفة أبا طـريف عليان بن ثمال الخفاجى. وعلى أثر ذلك فى سنة ٣٧٥ هـ عصى بالبصرة أبـو طاهـر ابن عضد الدولة وأستقل بها فأرسل شرف الدولة جيشاً فأنتصر عليه وقـبض على أبى طاهر . ولما رأى صمصام الدولة قوة شرف الدولة أرسل يطلب الصـلح فأستقر بينهما على أن يخطب لشرف الدولة بالعراق قبل صمصام الدولة ويكـون صمصام الدولة نائباً عنه . فلما كانت سنة ٣٧٦ هـ عادت الفتن بينهما فسار شرف الدولة بجيوشه حتى وصل واسطاً واستولى عليها .

فشـغب الجند ببغداد على صمصام الدولة وأجمعوا على تسليم الملك إلى أخيـه شـرف الدولة وكتبوا إليه يستقدمونه فخاف صمصام الدولة اتساع الخرق فسار بجماعة من رجاله إلى واسط ليصالح أخاه فلما التقى به طيب قلبه وأكرمه ولما أراد الرجوع إلى بغداد وخرج من منزل شرف الدولة قبض عليه وأعتقله وسار نحو بغداد ومعه أخوه المعتقل فدخلها بدون حرب وذلك فى رمضان سنة ٣٧٧ هـ .

وفى أيامـه قويت شوكة باذ الكرذى الحميدى وكان قد أستولى على ديار بكر وميافارقين ونصيبين فأرسل صمصام الدولة جيشاً لقتاله فأنتصر باذ بعد عدة معـارك ثم استولى على الموصل فى سنة ٣٧٣ هـ وأقام فيها وقوى أمره حتى طمع فى بغـداد فخافـه صمصام الدولة فأرسل جيشاً كثيفاً بقيادة زياد بن شهر اكويه الديلمى فدارت بينها رحى الحروب فى سنة ٣٧٤ هـ فأنكسر باذ وانهزم بأصحابه وعادت الموصل إلى البهيويين .

شرف الدولة (١)

٣٧٧ هـ - ٣٧٩ هـ

دخل شرف الدولة بغداد فركب إليه الخليفة الطايع وهنأه وعهد إليه بالسلطنة وتوجه والبسه سوارين وخلع عليه وأمر فقرئ عهده وخطب له على المنابر وصار لقب السلطان بدلاً من لقب أمير الأمراء فأحسن شرف الدولة السيرة ووجه نظره إلى أحوال المملكة وشرع يصلح ما أفسدته الفتن المتوالية فرد الأملاك المغصوبة إلى أهلها . منها أموال النقيب أبو أحمد والد الراضى وأموال الشريف محمد بن عمر الكوفى . وأقر على الناس مراتبهم ثم وجه نظره إلى تشجيع العلوم والفنون وبنى رصداً فى طرف بستان دار المملكة ببغداد وجمع فيه الفلكيين وأمرهم برصد الكواكب فرصدوها له منهم أبو سهل ويجن الكوهى وذلك سنة ٣٧٩ هـ واكرم هذا السلطان العلماء وقربهم ولم يحدث فى أيامه بالعراق ما يخل بالنظام غير حادثتين وقعتا فى بغداد الأولى أن عساكره الذين كانوا نحو الخمسة عشر ألفاً من الديلم استطالوا على جنود الأتراك الذين كانوا فى المدينة وحدثت بينهم منازعة عن دار واصطبل وآلت المنازعة إلى القتال داخل بغداد فأنتصر الديلم لكثرتهم وأنخذل الأتراك لأنهم كانوا يوم ذاك ثلاثة آلاف رجل فنادى الديلم بإعادة صمصام الدولة إلى الملك فارتاب منهم شرف الدولة ووكل بصمصام الدولة من يقتله أن هموا بذلك .

---

(١) انظر المزيد فى : مروج الذهب للمسعودى .

ولما انخذل الأتراك لقلتهم ورأوا أنفسهم غير قادرين على الانتقام من الديلم لكثرتهم التجؤا بالأهلين من السنة فأتفقوا معهم فأنتصروا على الديلم بمساعدتهم وفتكوا بهم وشتتوهم فأعتصموا بشرف الدولة فأصلح بينهم وحلف بعض لبعض . وعلى أثر هذه الحادثة أرسل شرف الدولة أخاه صمصام الدولة مسجوناً إلى بلاد فارس فأعتقل هناك .

أما الثانية فهى أن قائد الجيوش قراتكين الذى كان قد أفرط فى الدولة حتى صار حملاً ثقيلاً على شرف الدولة حدثت بينه وبين منصور بن صالحان وزير شرف الدولة وحشة فأغرى الجنود بالشغب على الوزير فثاروا عليه وأسمعوه ما يكره فأنبسط لهم الوزير ولاطفهم فسكنوا فأصلح شرف الدولة بين الوزير والقائد وشرع سراً فى تدبير الخلاص من القائد حتى تمكن بعد أيام قليلة من القبض عليه وعلى جماعة من أنصاره وصادر أموالهم فشغب الجند فقتل شرف الدولة القائد وولى مكانه طغسان الحاجب فسكن الجيش وأخلد إلى السكون وتوفى شرف الدولة ببغداد سنة ٣٧٩ هـ .

وفى هذه السنة (سنة ٣٧٩ هـ) أستولى على الموصل أبو طاهر إبراهيم وأبو عبد الله الحسين ابنا ناصر الدولة ابن حمدان .

بهاء الدولة (١)

٣٧٩ هـ - ٤٠٣ هـ

وتـــولى الأمر بعد شرف الدولة أخوه أبو نصر بهاء الدولة بن عضد الدولة فـــركب الخليفة الطايع إليه ودخل عليه بعزبة بأخيه فقبل أبو نصر الأرض بين يدى الخـــليفة وأظهـــر له احتراماً عظيماً ثم عاد الخليفة إلى قصره فحضر عنده الوجوه والأمراء والعلماء وأبو نصر فخلع عليه الخليفة سبع خلع وطوق عنقه بطوق كبير مـــن ذهـــب والبسه سوارين من الذهب ومشى الحجاب بالسيوف بين يديه فقبل الأرض بـــين يدى الخليفة وجلس على كرسى أعد له فقىء عهده ولقبه الخليفة بهاء الدولة .

ولما تم الأمر لبهاء الدولة استخلف على بغداد أبا ناصر خواشاذه وسار هو مـــنها إلى جرجان سنة ٣٨٠ هـــ وملكها وجرت بينه وبين صمصام الدولة الذى فر من السجن بعد وفات شرف الدولة حروب عديدة ثم اصطلحا وعاد بها الدولة على بغداد .

وفى أثـــناء غيـــاب بهاء الدولة حدثت ببغداد فتن عديدة تارة بين الديلم والأتـــراك وأخرى بين السنة والشيعة فلما عاد أصلح ما أفسدته تلك الفتن وبينما هو يصلح ما فسد إذ شغب الجند عليه لتأخير مرتباهم فأحتاج إلى المال فأغراه أبو الحســـن بـــن المعلم - وكان مقرباً عنده - بالقبض على الخليفة الطايع وأطمعه فى أموالـــه . وصادف أن الخليفة كان قد حبس رجلاً من خواص بهاء الدولة فأغتاظ

---

(١) انظر المزيد فى : الكامل فى التاريخ .

مـــنه وأضمر له السوء وأرسل إليه فى الحضور عنده فجلس الخليفة حسب العادة على سريره متقلداً سيفه فجاء بهاء الدولة ومعه جماعة من حاشيته فقبل الأرض بين يدى الخليفة وبينما هم جلوس تقدم رجاله إلى الخليفة وجذبوه من سريره ولفوه فى كساء وصعدوا به إلى دار السلطنة وهو يستغيث ويقول : إنا لله وإنا إليه راجعون، فحبسوه وأخذ بهاء الدولة كل ما كان فى قصره وأنفقه على الجند فأضطربت بغداد لهذه الحادثة . وكان الشريف الرضى ببغداد فقال فى ذلك أبياتاً منها :

من بعد ما كان رب الملك مبتسما	إلى ادنـــوه فى النجوى ويدنينى
أمسيت اراحم من قد كنت اغبطه	لقد تقارب بين العز والهـــــون
ومنظر كان بالسراء يضحكــــــى	يا قرب ما عاد بالضراء يبكينى
هيهات اغتر بالسلطان ثانيـــــــة	قد ضل ولاج ابواب السلاطين

ونهـــب الـــناس بعضهم ونقموا على بهاء الدولة ولكنه لم يبال بهم وأجبر الطـــايع عـــلى خلع نفسه وأشهد عليه بالخلع وأنفذ جماعة من الوجوه إلى البطيحة لإحضـــار أبى العـــباس أحمد بن الأمير إسحاق بن المقتدر بالله فأحضروه إلى بغداد وخـــرج لاســـتقباله بهاء الدولة والأمراء والعلماء والوجوه وأدخلوه قصر الخلافة وبايعوه ولقبوه القادر بالله (٣٨١ هــ - ٤٢٢ هــ) ولما تمت البيعة حمل الطايع المخلوع إلى قصر القادر بالله فبقى مكرماً إلى أن مات.

وكان القادر هذا عالماً فاضلاً أديباً شاعراً فتمكن بحسن سيرته وتدبيره من إرجاع بعض مجد الخلافة .

وفى عهـــد بهاء الدولة سنة ٣٨١ هــ بنى وزيره سابور بن أردشير مكتبة كبيرة على مثال بيت الحكمة الذى أنشأه هارون الرشيد وزاد فيه عبد الله المأمون. بناها فى محلة بين السورين فى الجانب الغربى من بغداد وسماها دار العلوم وجعل فيها

من الكتب الخطية النفيسة أكثر من عشرة آلاف كلها بخطوط الأئمة ورجال العلم فكـــانت أشـــهر مكتبة في بغداد بل كانت مجمعاً للعلماء والأدباء والفلاسفة من عراقيين وغيرهم (وقد أحرقت هذه المكتبة فيما احترف من محلات الكرخ يوم مجئ طغرل بك أول ملوك السلجوقية إلى بغداد سنة ٤٤٧ هـ) .

وفى هـــذه السنة (سنة ٣٨١ هـ) استولى على الموصل أبو الذؤاد محمد ابـــن المســـيب أمير بنى عقيل وهو رأس دولة بنى عقيل أول دولة بنى المقلد أو آل المســـيب فى الموصل ولما تم أمره فيها كتب على بهاء الدولة يخبره بذلك ويسأله أن يـــنفذ إليـــه من يقيم عنده من أصحابه يتولى الأمور (كنائب) فأرسل إليه قائداً من قـــواده. ثم استبد أبو الذؤاد بالأمور كلها فأرسل بهاء الدولة أبا جعفر الحجاج بن هرمـــز بعسكر كثير لقتاله فوصل الموصل وطرد ابا ذؤاد وملكهـــا . ثم درات بين أبى ذؤاد وبين عساكر بهاء الدولة عدة معارك انجلت بفوز البويهيين .

ولما توفى أبو الذؤاد سنة ٣٨٧ هـ سار أخوه المقلد إلى الموصل واستمال بعض الجنود الديلمية وكتب إلى بهاء الدولة يضمن منه الموصل وأعمالها بملونين من الدراهم وفى أثناء ذلك حمل على الموصل فأنهزم منها سراً أبو جعفر عامل بها الدولة وسار إلى بغداد فدخلها المقلد وتم أمره فيها .

وفى الوقت نفسه كان المقلد يتولى حماية غربى الفرات من أرض العراق وله عـــليها نائب . ولما كان بهاء الدولة مشغولاً فى محاربة أعوان أخيه صمصام الدولة جرت بين نائب المقلد وبين أصحاب بهاء الدولة مشاجرة فسار المقلد منتصراً لنائبه فـــدارات رحى الحرب بين المقلد وبين جنود بهاء الدولة فلما سمع بهاء الدولة بذلك أرســـل أبـــا جعفـــر الحجاج إلى بغداد وأمر بمصالحة المقلد خوفاً من آثارة الحرب فراســـل أبـــو جعفر المقلد واستقر الصلح بينهما على أن يحمل المقلد عشرة آلاف ديـــنار إلى بهـــاء الدولة سنوياً وأن يخطب له فى البلاد ثم خلعت على المقلد الخلع

السـلطانية ولقب بحسام الدولة . وأقطع الموصل والكوفة والقصر (قصر شيرين) والجـامعين (الحـلة) غير أن المقلد لم يحمل من المال إلا قليلاً ثم قطعه وعظم شأنه وخافه البويهيون وغيرهم .

وفى أيامـه فى سنة ٣٨٦ هـ حمل على البصرة أحد قواد صمصام الدولة البويهى اسمه لشكرستان فقاتله نواب بهاء الدولة فأنتصر عليهم بمعاضدة جماعة من البصريين منهم أبو الحسن ابن أبي جعفر العلوى ودخل البصرة ظافراً فى هذه السنة ولما دانت البصرة لهذا القائد شره فى أموال الناس فأبتزا أموال المثرين وفتك بجماعة كـبيرة من البصريين . فهاجر منها عدد كبير ومكث لشكرستان بالبصرة أكثر من شهر فزحف عليه أمير البطيحة مهذب الدولة أبو الحسن على بن نصر وكان تحت سيادة بهاء الدولة فلما اقترب من البصرة فر منها لشكرستان .

فدخلت سنة ٣٩٠ هـ وكانت أحوال العراق هادئة فارتآ بهاء الدولة أن يقـيم فى الأهـواز (خوزستان) فأستخلف على العراق ببغداد [1] فلما كانت سنة ٣٩١ هـ جمـع لشكرستان جيشاً كبيراً فأعاد الكرة على البصرة فدخلها عنوة وأعـاد الظلم والسلب وصادر أملاك أكثر الوجهاء وقتل بعضهم ففر كثيرون من أهلها إلى بلاد أخرى .

ولـما كانت سنة ٣٩٤ هـ جهز مهذب الدولة جيشاً قوياً وأرسله بقيادة أحد قواده أبي العباس بن واصل لقتال لشكرستان وطرده من البصرة وبعد معارك دامت أكثر من شهرين انهزم لشكرستان بمن معه فأستولى أبو العباس على البصرة وذلك فى سنة ٣٩٥ هـ وقتل فى هذه الفتنة نحو الخمسة آلاف من الفريقين. فلما أسـتتب أمر أبي العباس بالبصرة خلع طاعة مهذب الدولة واستبد بالأمور فأرسل

---

[1] ومنذ ذاك أخذ الملوك البويهيون أصحاب العراق يقيمون بخوزستان ويستخلفون على العراق رجلاً من خاصتهم يقيم ببغداد .

مهــذب الدولة لطرده منها جيشاً ففشل ثم جهز له جيشاً ثانياً بقيادة أبي سعيد بن مــاكولا ففشل أيضاً وقوى أمر أبي العباس فقصد البطيحة وبعد قتال أستولى على أكثرها وفى أثناء ذلك أضطربت عليه البلاد فخاف على نفسه فترك البطيحة وعاد إلى البصرة .

كل ذلك جرى فى البصرة وأطرافها وبهاء الدولة مقيم بالأهواز فلما بلغته قوة أبي العباس وأستبداده بالبصرة خاف عاقبة أمره فأحضر عنده عميد الجيوش من بغداد وجهز له جيشاً كبيراً وسيره لقتال أبي العباس فهزمهم أبو العباس وأستمرت الحــرب بينه وبين جيوش بهاء الدولة مدة ثم حمل عليه بهاء الدولة بخمسة عشر ألف مقــاتل فأندحر جيشه وعاد بالفشل فطمع أبو العباس بالأهواز فحمل بجيشه عليه فدحرته جيوش بهاء الدولة وعاد بالخسران وعلى أثر هذه الهزيمة زحف بهاء الدولة بجيــوش كــثيرة عــلى البصرة فأنتصر على أبي العباس ثم حاصر المدينة أربعة أيام فأستولى عليها عنوة وقبض على أبي العباس فقتله وذلك فى سنة ٣٩٧ هـــ .

ثم ولى على البصرة الوزير أبو غالب وعاد هو إلى الأهواز.

وبقى عميد العراق (ويروى عميد الجيوش) أبو على بن جعفر ببغداد نائباً عــن بهاء الدولة حتى مات سنة ٤٠١ هـــ فولى مكانه بهاء الدولة أبا غالب ولقبه فخــر الملك فظل هذا ببغداد نائباً على العراق حتى مات بهاء الدولة سنة ٤٠٣هـــ بأرجــان وحمل نعشه إلى بغداد ومنها نقل إلى مشهد الإمام على ودفن هناك . وممن تولى ديوانه ببغداد على بن محمد الكاتب وهو الذى صنف له المنشور البهائى وهو نثر كتاب الحماسة .

سلطان الدولة ابن بهاء الدولة [1]

٤٠٣ هـ - ٤١١ هـ

وتولى بعد بهاء الدولة أبنه أبو شجاع سلطان الدولة فأبقى فخر الملك ببغداد نائباً على العراق وولى البصرة جلال الدولة أبا طاهر بن بهاء الدولة ثم غضب سلطان الدولة على فخر الملك لأنه خالفه فى بعض الأمور فأمر بالقبض عليه فى سنة ٤٠٦ هـ فأرسل مخفوراً من بغداد إلى شيراز فقتله هناك وولى على العراق أبا محمد الحسن بن سهلان ولقبه عميد الجيوش فبقى هذا مقيماً فى بغداد يدير أمور العراق على سنة ٤١١ هـ .

وفى أيام سلطان الدولة توفى ببغداد الشريف الرضى الحسن بن محمد فى سنة ٤٠٤ هـ وكان عالماً فاضلاً وشاعراً مفلقاً وكاتباً بليغاً تولى نقابة الطالبين فى سنة ٣٥٩ هـ ثم ضمت إليه الأعمال التى كان يليها أبوه وهى النظر فى المظالم والحج بالناس. وكان له من سمو المقام ما دعاه أن يكتب إلى الخليفة القادر بالله من قصدية طويلة :

عطفاً أمير المؤمنين فأننا ... فى درجة العلياء لا نتفرق

ما بيننا يوم الفخار تفاوت ... أبداً كلانا فى المعالى معرق

إلا الخلافة ميزتك فأننى ... أنا عاطل منها وأنت مطوق

وجاء سلطان الدولة إلى بغداد فى سنة ٤٠٧ هـ وأقام بها أياماً ثم سار منها لقتال أخيه أبى الفوارس مشرف الدولة ولم يرجع إلى بغداد إلا فى سنة ٤١١ هـ

---

(١) انظر المزيد فى : مروج الذهب .

بعـــد أن تم الصـــلح بينه وبين أخيه المذكور . وما كادت قدماه تستقر ببغداد إلا وثارت عليه الجنود فيها . ونادوا بولاية أخيه مشرف الدولة فأسكنهم بالمال وعزم عـــلى الذهـــاب إلى واســـط فطلبوا منه أن يستخلف مشرف الدولة على بغداد فأستخلفه كرهاً وسار على واسط ثم عزم على المسير إلى خوزستان فأستخلفه على العـــراق كلـــه بعـــد أن تحالفا أن لا يستخلف أحد منهما أبا سهلان . فلما وصل سلطان الدولة إلى مشتر أستوزر ابن سهلان وسيره بالعساكر لحرب مشرف الدولة وأخـــرجه من العراق فأغتاظ مشرف الدولة وأتحد مع الأتراك وجهز جيشاً جراراً مؤلفـــاً من الأتراك والديلم والتقى بالوزير قرب واسط وبعد معارك أنهزم الوزير وتحصـــن بواســـط فحاصره مشرف الدولة حتى اضطره إلى الفرار بمن معه فدخلها مشرف الدولة وأعلن استقلاله فى العراق .

وفى أيـــام ســـلطان الدولة هذا أسست فى العراق الدولة المزيدية فى أرض الحـــلة فى سنة ٤٠٣ هـــ أسسها أبو الحسن على بن مزيد من بنى أسد وتولى بعده أبـــنه دبيس سنة ٤٠٨ هـــ بعهد منه ثم حدثت بينه وبين أخيه الأكبر المقلد فتنة فى ســـنة ٤١٦ هـــ فأنتصر بنو عقيل للمقلد وأمده جلال الدولة أيضاً فأنهزم وأخيراً وقـــع الصـــلح بيـــنه وبين جلال الدولة وتعهد دبيس بدفع المال المقرر فى ولايته واســـتقام أمره ثم حدثت فى سنة ٤٢٤ هـــ بينه وبين أخيه الآخر ثابت فتنة فأمد ه البساســـيرى ثابـــتاً فتمكن ثابت من التغلب على ملك دبيس ثم أنتصر دبيس على ثابت بمساعدة خفاجة وعاد إلى ملكه (ولم تكن الحلة حينئذ بنيت) ثم تصالحا على أن يكون لثابت بعض الأعمال ودامت الدولة ١٤٢ سنة تقريباً أى من (سنـــــة ٤٠٣هـــ - سنة ٥٤٥ هـــ) .

وأول ملوكها أبو الحسن على بن مزيد وآخرهم على بن دبيس بن صدقة. (انقرضت فى عهد السلطان مسعود السلجوقى) .

مشرف الدولة

ابن بهاء الدولة

٤١١ هـ - ٤١٦ هـ

تقدم ما جرى بين سلطان الدولة وبين أخيه مشرف الدولة وكيف استولى الثاني على العراق وأعلن استقلاله . ولكنه بعد انتصاره على جيوش أخيه سلطان الدولة دخل بغداد بجيش كبير من الديلم فخرج الأهلون لاستقباله وهابه الناس كثيراً فعظم أمره وعلا شأنه وخوطب بشاهنشاه (ملك الملوك) وخطب له بالملك على المنابر وأستمر ملكه على العراق إلى أن توفى ببغداد سنة ٤١٦ هـ .

وفى أول عهده أزداد استبداد قرواش فى البلاد فعزم مشرف الدولة على محو إمارته وأخذ البلاد منه (الموصل والكوفة والأنبار وغيرها) فحرك عليه بنى أسد وأمدهم بالجند والمال فساروا إلى قرواش وقاتلوه وبعد معارك أنهزم قرواش برجاله وتبعه بنو أسد حتى أدركوه وأسروه وسلموه إلى مشرف الدولة فضبط مشرف الدولة بلاد قرواش وأسره وبعد أيام قليلة من الأسر ثم كتب إلى مشرف الدولة يسأله الصفح فأبى ذلك .

ولم يحدث شيء فى أيام مشرف الدولة فى العراق شيء يذكر غير ما تقدم .

جلال الدولة

ابن بهاء الدولة

٤١٦ هـ - ٤٣٥ هـ

وتـــولى بعـــد شرف الدولة أخوه أبو طاهر جلال الدولة وكان ضعيف الرأى سـيىء التدبير من ذلك أنه لما بويع بالملك وهو يومئذ فى البصرة (وكان عليها منذ أيـــام ســـلطان الدولـــة) طلب الجيش قدومه إلى بغداد فأمتنع فخرجوا عن طاعته وقطعوا خطبته وخطبوا لابن اخيه أبي كاليجار بن سلطان الدولة الذى ملك فارس بعـــد ابيه فلما علم جلال الدولة بذلك ولى على البصرة أبا الفتح محمد بن أردشير وســـار نحـــو بغـــداد فخرج غليه جيشها ليرده فقاتله وأنتصر عليهم ودخل بغداد فخرج الخليفة لاستقباله وقلده السلطنة على ما جرت به العادة ، ومنها أن الجيش ثار عليه ببغداد سنة ٤١٩ هـ بسبب قطع مرتباهم وحصروه فى داره ومنعوا عنه المـــاء فأضطر إلى بيع حلى نسائه وثيابه وفرق ثمنها على الجيش. ثم ثاروا عليه ثانية ســـنة ٤٢٢ هـــــ وشغبوا عليه فدخل قصره وأغلق أبوابه فجائت الأتراك وهبوا قصـــره وسلبوا كتابه وأرباب دواوينه فاضطر إلى الخروج من بغداد فسار منها إلى عكـــبرا [١] فخطـــب الاتراك للملك ابى كاليجار ابن سلطان الدولة وأرسلوا إليه

---

(١) عكـــبرا من بلاد العراق القديمة كانت بين بغداد وسامرا على عشرة فراسخ من بغداد وتكتب عكبرا وعكبرى وعكبره .

يطلــبونه وهو يومئذ بالأهواز فلم يجبهم فأعدوا خطبة جلال الدولة وسار زعمائهم إليه وسألوه الرجوع إلى بغداد وأعتذروا عما فعلوه فعاد إلى بغداد بعد ٤٣ يوماً.

وفى أول عهده تزلف له قرواش (ابن أبي جعفر المقلد الملقب بحسام الدولة) وأخلص له فأعاده إلى ملكه. وبعد مدة أستبد قرواش بالبلاد وأستأثر بجبايتها ثانية وأمتــنع عــن مــراجعة جلال الدولة فى الأمور فثار عليه جلال الدولة وبنى أسد وخفاجة وأمدهم بالجند والمال فالتقوا بقرواش قرب الكوفة وبعد عدة معارك هرب قرواش إلى الأنبار فطاردوه حتى بلغ الموصل وتحسن فيها سنة ٤١٧ هــ وفى تلك الأثــناء ثــارت الفتن والأضطرابات فى داخلية بلاد البويهية واشتغل البويهيون فى أخمادها فأغتنم قرواش تلك الفرصة وعاد إلى بلاده .

ولسوء تدبيره وضعف رأيه كثرت الفتن فى بغداد وتوالى فيها شغب الأتراك وعظــم أمرهم فيها وكثر المفسدون واللصوص وانتشر الأعراب فى البلاد فنهبوا الــنواحى والقــرى وقطعوا الطرق وبلغوا أطراف بغداد حتى وصلوا على جامع المنصور وسلبوا ثياب النساء فى المقابر . بل أن الفوضى عمت فى أيامه جميع البلاد العــراقية وكــثر الســلب والنهب والقتل وضعف أمر الدولة البويهية فى العراق وخصوصــاً بغداد حتى حاول البغداديون ترك وطنهم لعدم الأمن وشيوع الفوضى فى المديــنة ومــا يــليها ولكنهم لم يجدوا إلى ذلك سبيلاً لانقطاع الطرق وانتشار اللصوص فى كل الجهات حتى أن جماعة من الأكراد نهبوا دواب بعض الجنود ونهبوا ثمــرة قــراح (مزرعة) الخليفة القائم فلم يتمكن جلال الدولة من القبض عليهم لعجــزه فعظم ذلك على الخليفة وأضطر أن يعدد فأمر القضاة والفقهاء بالإضراب عــن العمل بترك القضاء والفتوى ففعلوا فلما لم يحصل الخليفة على شيء أمر بترك الإضراب .

وحدثـــت فى أيامـــه فى سنة ٤١٩ هــ فتن عظيمة بين الديلم والأتراك فى البصرة وأخيراً انتصر الأتراك وقوى أمرهم فيها وأخرجوا الديلم منها . فلما كانت ســنة ٣٢٠ هــ أرسل أبو كاليجار بن سلطان الدولة جيشاً بقيادة بختيار وأمره أن يــأخذ البصرة فأستولى عليها وطرد منها حاكمها الملك العزيز أبا منصور بن جلال الدولة ونهب الديلم أسواق المدينة . ودام النهب سبعة أيام وصودرت أموال التجار وتــلفت نفوس كثيرة فأرسل جلال الدولة وزيره أبا على بن ماكولا بجيش كبير فى ســنة ٤٢١ هــ فسار إليها أبو على فى ٤٠٠ سفينة ومعه عبد الله الشرابى وبعد قــتال مــع بختيار أندحر أبو على ووقع أسيراً فلما علم جلال الدولة بمصير جيشه جهــز جيشاً ثانياً فأنتصر جيشه واستولى على البصرة وعلى أثر ذلك حدث نزاع بــين عســاكر جلال الدولة فتفرقوا فعاد القائد بختيار إلى البصرة واسترجعها لأبى كاليجار فجهز جلال الدولة جيشاً آخر فى سنة ٤٢٤ هــ أرسله بقيادة ابنه الملك العزيز وكان فى تلك الأثناء على البصرة أبو القاسم من قبل أبى كاليجار وكان قد اســتبد بهــا وعصى عليه فلما أقتربت منه جيوش جلال الدولة سلم البصرة بدون حرب ولكنه بقى كمساعد للملك العزيز فى تدبير شئون البصرة وبعد قليل حدث بينهما خلاف أدى إلى وقوع معارك بينهما داخل المدينة وكانت النتيجة طرد الملك العزيــز من البصرة. ثم أعطيت هذه المدينة بالضمان لأبى القاسم على أن يدفع فى كل سنة سبعين ألف دينار على أبى كاليجار.

فــلما كــانت سنة ٤٣٠ أمتنع أبو القاسم من تسليم المال إلى أبى كاليجار وصار تارة ينحاز إلى جلال الدولة وأخرى إلى أبى كاليجار فحمل عليه أبو كاليجار بجيــش كــبير فى سنة ٤٣١ هــ وبعد قتال حاصر البصرة حصاراً شديداً فأستولى عــليها عنوة وأعطاها بالضمان إلى أبنه عز الملوك على أن يدفع له سنوياً مائة ألف

دينـــار وجعل معه مساعداً أبا الفرج بن فسانجس . وظلت البصرة فى قبضته مدة (ثم خرجت من يد البويهين حينما زال ملكهم من العراق) .

ومع عجز جلال الدولة وضعفه لقب فى سنة ٢٥٩ هــ بملك الملوك .

وفى أيامه توفى الخليفة القادر بالله فبويع لابنه أبي جعفر عبد الله ولقبوه القائم بأمر الله (٤٢٢ هــ - ٤٦٧ هــ) فضيق جلال الدولة على القائم بأمر الله حتى أنـــه أخذ منه فى سنة ٤٣٤ هــ أموالاً كانت مقررة للخلفاء من ذى قبل فحدثت بينهما وحشة دامت إلى أن مات جلالة الدولة ببغداد فى ٦ شعبان سنة ٤٣٥ هــ بعـــد أن ملك ستة عشر سنة وإحدى عشر شهراً، أو كانت أيامه مشحونة بالفتن والحروب مع أبناء أعمامه منازعيه فى الملك تارة ومع الأمراء أخرى .

أبو المنصور وأبو كاليجار

٤٣٥ هــ - ٤٤٠ هــ

ولمـــا مات جلال الدولة كان ابنه الأكبر الملك العزيز أبو المنصور فى مدينة واســـط فبويع له ببغداد وكتبت إليه الجيوش بالبيعة والطاعة وطلبوا منه القدوم إلى بغداد وشرطوا عليه تعجيل حق البيعة (إكرامية أو بخشيش) وبلغ خبر مبايعته الملك أبـــا كالـــيجار الـــبويهى المستولى على فارس فأخذ يراسل القواد والجند ويعدهم بالأموال الكثيرة وكثرة العطاء حتى استمالهم إليه . وكان أبو المنصور قد أخر حق الـــبيعة الـــذى أشترطه الجند عليه فعدلوا عنه ومالوا إلى أبي كاليجار وكتبوا إليه يسألونه القدوم إليهم وقطعو خطبة أبي المنصور وأعلنوا بيعة أبي كاليجار وخطبوا له

علـى المـنابر. فلما علم أبو المنصور بذلك خاف الغدر فسار فى سنة ٣٤٥ هـ مستجيراً بقرواش وبنصر الدولة بن مروان وبقى مقيماً عند نصر الدولة حتى مات فى ميافارقين .

أما الملك أبو كاليجار فأنه بعد أن أستوثق من الجند واستقرت القواعد بينه وبيـنهم وتيقن من البيعة له أرسل أموالاً طائلة إلى الجند وأهدى إلى الخليفة عشرة آلاف دينار مع تحف كثيرة نفيسة ثم سار فى سنة ٤٣٦ هـ إلى بغداد فدخلها بمائة فارس من أصحابه وخلع على القواد، وأجرى له الخليفة المراسم المعتادة ولقبه محيى الدين . وتم الأمر لأبى كاليجار فى العراق وفارس وخطب له على المنابر بالملك .

وفى أيـام أبى كاليجار حدثت حرب بين قرواش وبين أخيه بدران فصالح قـرواش أخاه بدراً وأعطاه نصيبين وعلى أثر ذلك حمل الأمير منيع الخفاجى على إقطاع قروش التى على سقى الفرات فضبطها منه وخطب فيها للملك أبى كاليجار وذلـك فى سنة ٤٣٥ هـ وفى أيامه قوى أمر السلجوقيين الأتراك وأنتزعوا البلاد مـن بنى بويه وعظم شأن زعيمهم أبو طالب محمد بن مكائيل بن سلجوق الملقب ركـن الديـن طغرك بك فخافه أبو كاليجار وكتب إليه يسأله الصلح فى سـنة ٤٣٩ هـ فأجابه إليه وكتب إليه طغرك بك إلى أخيه الملك داود بعدم التعرض بممـلكة أبى كاليجار ثم استقر الحال بينهما على أن يتزوج طغـرك بك بنت أبى كالـيجار ويتزوج المنصور بن أبى كاليجار بنت الملك داود أخرى طغرك بك وجرى ذلك الزفاف فى السنة نفسها ٤٣٩ هـ ، ولما كانت سنة ٤٤٠ هـ سار أبو كاليجار إلى كرمان فمات فى الطريق بعد أن ملك العراق أربع سنوات وشهرين وبضعة أيام .

الملك الرحيم

٤٤٠ هـ - ٤٤٧ هـ

هـو أبو نصر بن أبي كاليجار كان ببغداد يوم مات أبوه فى طريق كرمان فأجتمع رجال الدولة فى دار الإمارة فبايعوه بالملك وحلف له الجيش بالطاعة. فأرسل أبو نصر إلى الخليفة القائم يطلب منه الخطبة وتلقيبه بالملك الرحيم . فأجابه الخليفة إلى ما طلب إلا اللقب فإنه أمتنع من أجابته عليه قائلاً : لا يجوز أن يلقب بأخص صفات الله ، فترددت الرسل والرسائل بينهما من أجل ذلك وأصر الخليفة على رفض اللقب فلقبه أصحابه به رغم إرادة الخليفة ، وظل هذا اللقب عليه ودانت له بلاد العراق وخوزستان (الأهواز).

وهو الذى أقطع الأمير دبيس بن على بن مزيد حماية نهر الصلة ونهر الفضل فى سنة ٤٤١ هـ وكانت من إقطاع جند واسط فغضبوا وزحفوا على دبيس فأنتصر عليهم وفتك بهم وغنم أموالهم فأنهزموا راجعين إلى واسط [١].

وفى أيامه عصى أبو على بن أبي كاليجار أمير البصرة فحمل عليه الملك الرحيم فى سنة ٤٤٥ هـ وحاربه فأنتصر عليه وتحصن أبو على فى البصرة وكان

---

(١) ودامت هذه الإمارة إلى سنة ٥٤٥ هـ وآخر من ملك من هذا البيت على بن دبيس ابن صدقة وهم الذين بنو مدينة الحلة وكان لهم شأن كبير فى العراق وأشهرهم صدقة ابن منصور الملقب سيف الدولة وابنه دبيس وعلى بن دبيس .

البصــــريون قد كرهوه لسوء سيرته وتجبره وظلمه فأنحاز والى الملك الرحيم وثاروا عـــلى الأمير فطردوه وسلموا المدينة إلى الملك الرحيم فى سنة ٤٤٦ هــ وبعد أن دبر شؤونها ولى عليها البساسيرى .

وفى أيامـــه حدثت ببغداد فتن كثيرة بين السنة والشيعة قتل فيها خلق كثير مـــن الطـــرفين ولم تتمكن الحكومة من قمع تلك الفتن . بل أنها لم تتمكن من قمع الفـــتن الـــتى كانت تقوم تارة من أجل المناصب وأخرى بسبب الاختلاف المذهبى الذى هو من أكبر أسباب انقراض هذه الدولة . ولمن تنته الفتن بين السنة والشيعة حـــتى قـــامت بينهما فتنة كبيرة فى سنة ٤٤٣ هــ قتل فيها من الطرفين عدد كثير فيهـــم مدرس الحنفية أبو سعيد الرحبى وأحترقت فى هذه الفتنة المخزنة دور الفقهاء وضـــريح الإمام موسى بن جعفر الصادق وقبر زبيدة زوجة هارون الرشيد وقبور الخلفاء وقبور ملوك بنى بويه .

وأخذت دولة بنى بويه فى عهد هذا الملك تزداد ضعفاً على ضعف وانحلت أمور الدولة ببغداد وغيرها وبينما كانت هذه الدولة تنحط يوماً فيوماً كانت دولة الســـلجوقيين تتوســـع وتقوى يوماً فيوماً وكان رجالها قد استولوا على بلاد كثيرة محـــاددة الشرقى العراق فى الوقت الذى كان العراقيون قد سئموا حكم البويهيين وملوا سياستهم وتمنوا زوال ملكهم .

وعـــلى أثـــر ذلـــك الانحـــلال والضعف طمع طغرك بك السلجوقى فى الاســـتيلاء عـــلى العراق فتقدم نحو بغداد بعد أن فتح بلاداً كثيرة فى الوقت الذى كـــانت الفوضى فيه ضاربة اطنابها فى العراق والحكومة عاجزة عن كل شىء وقد

انحــل أمرها وليس لديها من الجند ما تستطيع به الدفاع عن بلادها ولا عندها مال تجهز به الجيوش .

وكانت النتيجة أن حمل طغرك بك السلجوقى على العراق بجيش كبير من الأتــراك فأســتولى على بغداد مقر الدولة البويهية والخلافة العباسية وحدثت يوم دخوله بغداد فتنة عظيمة احترقت فيها بعض المحلات وكثر النهب والقتل وذلك فى ســنة ٤٤٧ هــ وأنقرضت هذه الدولة من العراق بعد أن ملكته مائة وثلاثة عشر سنة من تاريخ استيلاء معز الدولة أحمد على بغداد إلى آخر أيام الملك الرحيم الذى أسره طغرك بك، وعدد هؤلاء الملوك الذين ملكوا العراق أحد عشر ملكاً .

وانتقل الحكم فى العراق بعدهم إلى السلاجقة ثم إلى الخلفاء العباسيين الذين أعادوا حقهم ونفوذهم ثم حمل هولاكو المغولى بجيوشه وقرض الخلافة العباسية فظل العــراق ينتقل من دولة إلى أخرى حتى حمل الشاه إسماعيل الصفوى على السلطان مــراد بن يعقوب آخر ملوك دولة الخروف الأبيض التركمانية وطرده من العراق وسيأتى ذكر ذلك .



الدولة الصفوية الأولى

أو

٩١٤ هـ - ٩٤١ هـ

الدولة الفارسية السادسة في العراق

تمهيد :

أســس الدولــة الصفوية فى إيران إسماعيل بن حيدر بن جنيد بن الشيخ صــفى الدين الاردبيلى الصوفى وسميت بهذا الاسم نسبة إلى صفى الدين المذكور . وليس لهذا البيت قرابة مع إحدى العائلات المالكة فى إيران ولا فى غيرها ولا كانت تعــرف هذه السلالة بغير رئاسة التصوف بادئ بدء ثم قوى أمرها على عهد جنيد وكثر اتباعها وأشتهرت وظل أبناؤها يتدرجون فى الزعامة على اتباعهم شيئاً فشيئاً حــتى عظم شأن حيدر بن جنيد ولما مات نهض ابنه إسماعيل وجمع الجموع - وكان حازمــاً عالى الهمة - فحمل على أذربيجان سنة ٩٠٥ هـ واستولى عليها ثم على شــيروان ســنة ٩٠٦ هـــ ثم على ما وراء النهر فبلاد فارس فخراسان فالعراق العجمــى فكردســتان فديــار بكر وأسس مملكة واسعة الأطراف وهو أول ملوك الدولة الصفوية وأول ملوك فارس الذين تلقبوا بالشاهات (أى السلاطين) .



استيلاء الشاه إسماعيل على العراق

دخلت سنة ٩١٤ هـ فطمع الشاه إسماعيل فى العراق وصاحبه يومئذ السلطان مراد (أو مراد بك) التركمانية [١] وكان قد أناب عنه على العراق أحد رجاله الأمير مبارك (بارك) فحمل الشاه على العراق قاصداً بغداد وأرسل فى مقدمته أحد قواده المدعو لا لأحسن فحاصر بغداد وعجز أميرها عن الدفاع وانتصر القائد الفارسى على حامية المدينة واحتلها عنوة فى السنة نفسها وعلى أثر ذلك توجه الشاه إسماعيل إلى بغداد فلما دخلها فتك بأهلها من السنة والنصارى ثم سار عنها واستناب عنه نائباً فيها وترك قسماً من جنوده لحماية المدينة وعاد إلى مقره بعد أن زار العتبات المقدسة وخضعت له أكثر المدن العراقية .

أما السلطان مراد فأنه فر مستجيراً بالملوك الأمراء فأمدوه بالجيوش والأموال فألف جيشاً كبيراً وسار به لا سترداد بغداد فتمكن فى سنة ٩١٦ هـ من طرد جيوش الشاه منها فعادت إليه هى وما يتبعها بعد أن ملكها الفرس نحواً من سنتين (أى سنة وبضعة أشهر) وكان الشاه إذ ذاك مشغولاً فى حروب خراسان فلما انتهى منها هيأ لأخذ بغداد ثانية وحمل عليها بجيش عرعرم وقاتل السلطان مراد حتى قهره وطرده واستولى على بغداد عنوة سنة ٩٢٠ هـ (وهى المرة الثانية) فأنقرضت دولة الخروف الأبيض التركمانية من العراق بعد أن ملكته ٤٤ سنة تقريباً. منها نحو الأربعين سنة (٨٧٤ هـ - ٩١٤ هـ) قبل إغارة الشاة

---

(١) وكان إذ ذاك ملكاً على العراقيين (العراق العجمى والعراق العربى) وبلاد فارس .

الأولى ونحو الأربع سنوات قبل الغارة الثانية . وأول ملوك تلك الدولة حسن بك المعروف بحسن الطويل وآخرهم السلطان مراد بك هذا وهي التي قامت في العراق على أنقاض دولة الخروف الأسود (قرة قو يونلي) التركمانية [١].

ولما دخل الشاه إسماعيل بغداد ثانية أعاد القتل وأعمل السيف بالسنة والنصارى وفتك بهم ولم يمس اليهود بسوء لأنهم تجسسوا له قبل دخوله بغداد وبعده . وغالى في الانتصار لمذهب الشيعة واتباعه وأعلن المذهب الشيعي رسماً في مملكته وبالغ في اضطهاد من بقي من السنة حتى أنه أجبر كثيرين منهم على التشيع.

وبعد أن أستتب أمر الشاه في العراق (بغداد والبصرة والموصل وما يتبع ذلك) ولى على العراق ببغداد أحد رجاله إبراهيم خان وعاد إلى مقره ثم أمر فأعيد بناء حرم الكاظمين والقبة التي على الضريحين سنة ٩٢٦ هـ [٢] ، وأمر بكرى النهر الذي كان قد احتفره علاء الدين عطاء الملك حاكم العراق من قبل هوكو وجره من الفرات إلى مدينة النجف لأن الرمال كانت قد تراكمت فيه وسدت مجراه فسمي بالنهر الشاهي [٣].

---

(١) ودولة الخروف الأسود هي التي أخذت العراق من الجلائريين الذين جاؤوا بعد الدولة الايلخانية التي قرضت الدولة العباسية على يد زعيمها هولاكو .

(٢) ولكنه لم يتم بناء الحرم فأتمه السلطان سليمان القانوني حينما فتح بغداد وبنى مأذنة لازالت حتى اليوم باقية وهي أول مأذنة بنيت هناك .

(٣) وهو المعروف الآن بنهر الهندية نسبة إلى آصف الدولة أحد أمراء الهند في لكنهور الذي كراه عند مجيئه إلى العراق لزيارة قبور الأئمة سنة ١٣٠٩ هـ .

الشاه طهماسب الأول
وذو الفقار الكردي

ولما مات الشاه إسماعيل (٩٠٥ هـ - ٩٣٠ هـ) وجلس مكانه ابنه طهماسب الأول طمع فى العراق الأمير ذو الفقار ابن نخوذ سلطان رئيس قبيلة موصلو من عشيرة كلهور الكردية الذى كان مستولياً على أطراف لورستان[١] فحمل بالكلهوريين على بغداد وحاصرها أربعين يوماً فأستولى عليها فى سنة ٩٣٠ هـ [٢] وأسس بها دولة كردية وأحسن السيرة والتدبير حتى ملك العراق كله تقريباً وخاف من طهماسب الأول فأحتمى بالسلطان سليمان القانونى العثمانى وخطب له على المنابر وضرب بأسمه السكة وأرسل وفداً لعرض خضوعه والدخول تحت سيادته ولكنه لم يكد يستريح حتى حمل عليه الشاه طهماسب الأول سنة ٩٣٦ هـ الموافقة لسنة ١٥٣٠ م فأستعد له ذو الفقار وتحصن فى بغداد فحاصرها الشاه أياماً حتى عجز عن استردادها لحصانة أسوارها فأضطر لاستعمال الحيل والخداع حتى تمكن من اغراء أخوى ذى الفقار وأطمعهما بالمناصب والأموال فأغتالا أخاهما وقتلاه (وقيل مات مسموماً) وفتحا أبواب المدينة فدخلها الشاه فى السنة نفسها ٩٣٦ هـ وانقرضت الدولة الكردية التى لم تدم إلا نحو ست سنوات.

---

(١) لورستان هو أقليم الأهواز أو عربستان ويسمى جبال البختيارية أيضاً .

(٢) وفى رواية كان استيلائه على بغداد سنة ٩٣٤ هـ فأستردها منه الشاه طهماسب سنة ٩٣٥ هـ ولكنها ضعيفة .

دخــل الشاه كهماسب بغداد فسلمت له المدن العراقية كلها تقريباً فأعاد أعمــال أبيه فى دار السلام من اضطهاد السنة والفتك بهم ثم ولى على بغداد بكلو محمد خان وفوض إليه شؤون البلاد العراقية وسار هو عائداً إلى مقره . وظل رجاله فى العــراق يضطهدون ابناء السنة ويحكمون بما تشتهية نفوسهم مما حمل السلطان ســليمان القانونى على الانتقام من الفرس انتصاراً لابناء مذهبه السنة فصمم على فتح العراق وأخذه منهم .

خروج العراق من يد الفرس

دخــلت ســنة ٩٤٠ هــ الموافقة لسنة ١٥٣٥ م فعزم السلطان سليمان القــانونى على أخذ العراق من الفرس فأرسل إبراهيم باشا الصدر الأعظم والقائد العام بجيش كبير لقتال الشاه طهماسب الأول وسار هو فى أثره بجيش آخر فدخل إبراهــيم باشا تبريز أولاً بالأمان ثم سار منها قاصداً بغداد فلما أقترب منها هرب حاكمها الفارسى بكلو محمد خان بجيوشه خوفاً من الاسر فسلمت المدينة وفتحت أبوابهــا لــلقائد العثمانى فدخلها باستقبال عظيم فى شهر جمادى الآخــــرة سنة ٩٤١ هــ وبعد أيام قليلة وصل السلطان إلى بغداد ودخلها بين التهليل والترحيب والــتقديس على حسب عادة العراقيين مع كل فاتح . ثم فتحت الجيوش العثمانية مديــنة الموصل فى السنة نفسها ودانت المدن العراقية كلها للعثمانيين وزالت دولة الصفويين بعد أن حكموا العراق ٢٥ سنة تقريباً، منها نحو سنتين بعد الغارة الأولى الــتى كانت فى سنة ٩١٤ هــ وما بقى فهو بعد الغارة الثانية التى حدثت فى سنة ٩٢٠ هــ .

أما البصرة فأنها كانت يوم مجئ السلطان سليمان تابعة للفرس وكان عليها حـــاكم فارســـى أسمه راشد خان وكان قد بلغه سقوط بغداد وغيرها فخاف على نفسه ومنصبه فسار إلى بغداد للمثول بين يدى السلطان وعرض الطاعة والخضوع وفـــرق له الســـلطان فأقره على البصرة على شرط أن تكون الخطبة والنقود بأسم السلطان وأن يكون ممتثلاً لأوامر ولاة بغداد الأتراك فى المسائل الهامة ، فعاد راشد خـــان إلى منصـــبه ولكنه بعد قليل أستبد بالأمور كأن لم تكن له رابطة بالعثمانيين فأضـــطروا إلى إرســـال جيش تحت قيادة الوزير إياس باشا لطرد راشد من البصرة فـــلمــــا قـــرب الجيش انهزم منها راشد ودخلها الجيش العثمانى وذلك فى سنة ٩٥٣ هـــ ، وظلت هذه المدينة فى قبضة الأتراك إلى سنة ١٠٠٥ هـــ فأستقل بها أمـــراؤها ثم أعادها الأتراك إليهم فى سنة ١٠٧٨ هـــ ثم تغلب عليها أمير الحويزة فـــرج الله خان فى سنة ١١٠٩ هـــ فطرده الأتراك فى سنة ١١١١ هـــ وبقيت فى قبضـــتهم إلى أن تغـــلب عـــليها كريم خان الزندى فى سنة ١١٩٠ هـــ ثم عادت للأتـــراك فى ســـنة ١١٩٣ هــــ وبقيت تحت حكمهم حتى قامت الحرب العامة فأستولى البريطانيون عليها فى سنة ١٣٣٣ هـــ .

وبقى العراق فى قبضة العثمانيين ٩١ سنة تقريباً (٩٤٨ هـــ - ١٠٣٢ هـــ) ثم عاد للصفويين ثم للأتراك .



الدولة الصفوية الثانية
أو الدولة الفارسية السابعة
في العراق

١٠٣٢ هـ - ١٠٤٨ هـ

كانت الدولة العثمانية قد وجهت إيالة العراق إلى الوزير يوسف باشا فى سنة ١٠٢٥ هـ وكان هذا الوزير ضعيف الرأى فحدثت بينه وبين رئيس شرطة بغداد بكر أغا فتنة فى سنة ١٠٢٨ هـ فى عهد السلطان عثمان الثانى . وكان بكر أغا قد جلب الأهلين إليه وكثرت اتباعه وأستولى على جميع شؤون الحكومة العراقية من إدارية وعسكرية حتى لم يبق للوزير غير الأسم وآلت تلك الفتنة إلى الحروب فى نفس بغداد فقتل يوسف باشا واستولى بكر أغا على الولاية وكتب إلى السلطان يطلب تثبيته فيها فوجهت الايلة إلى غيره فأنتقض على الدولة وأعلن استقلاله فى العراق فما كان من السلطان إلا أن أرسل الجيوش إلى قتاله فلما حوصرت بغداد وضاق الحال ببكر أغا استنجد بالشاه عباس الأول الذى تولى عرش إيران سنة ٩٩٥ هـ الموافقة لسنة ١٥٨٦ م ووعده بالدخول تحت سيادته على أن يكون الحكم له والخطبة والسكة بأسم الشاه فوافق على ذلك الشاه وأنجده وفى أثناء ذلك اصطلح بكر أغا مع القائد العثمانى حافظ أحمد باشا ووجهت إليه الايالة ورفع الحصار عن بغداد ورجعت عساكر السلطان غير أن الجيش الفارسى الذى جاء لنجدة بكر أغا كان قد أقترب من بغداد بعد أن ابرم أغا

معـاهدة الصـلح مع القائد العثمانى فكتب بكر أغا إلى قواد الفرس يطلب منهم الـرجوع ويخبرهم بما تم من أمر الصلح فأبوا عليه ذلك وأصروا على دخول بغداد حسب أمر الشاه وبعد مخابرات حاولت الجيوش الفارسية دخول بغداد فمنعها بكر أغا فحدثت بين الطرفين عدة معارك انتصر فى آخرها بكر أغا وظل يطارد الفرس حتى أخرجهم من ديار العراق .

فـلما علم الشاه بذلك استشاط غضباً وزحف بنفسه على بغداد فى سنة ١٠٣٢ هـ وهو يقود جيشاً كبيراً حتى أقترب منها وكتب إلى بكر أغا يطلب منه تسليم المدينة فأبى بكر أغا عملاً بمعاهدة الصلح التى من شروطها أن لا يدع الفرس يدخلون بغداد .

وعـندما حمل الشاه على المدينة وحاصرها حصاراً شديداً وضيق عليها من كل الجهات ودام الحصار ثلاثة أشهر كان فيها بكر أغا مدافعاً دفاع الابطال حتى ضاق به الحال وخارت قوى عساكره واشتد القحط فى المدينة .

أما الشاه فأنه لما عجز عن فتح بغداد حرباً عمد إلى الحيلة والخداع وراسل سـراً محمـد أغا بن بكر أغا — وكان محافظاً على قلعة بغداد — فوعده بالمناصب والأمـوال حتى خدعه ففتح له أبواب المدينة ليلاً فدخلتها جيوش الشاه على حين غفلة من بكر أغا والأهلين فأنهزم المدافعون وأختفى الناس فى بيوتهم واشتغل كل فى نفسه فما أصبح الصباح إلا والشاه قد دخل بغداد بمن معه وذلك فى ٩ شوال سنة ١٠٣٢ هـ الموافقة سنة ١٦٢٣ م .

دخـل الشـاه عباس الأول بغداد فقتل أكثر رجال الحكومة التركية من عسـكريين وإداريين حتى رجال الدين منهم القاضى نورى أفندى وخطيب الجامع الكـبير محمـد أفندى وغيرهما وفتك بالسنة فتكاً ذريعاً وصار أموال المثرين منهم وارتكبت جنوده أنواع المنكرات من قتل وسلب ونهب وتخريب . أما بكر أغا فأن

الشاه قتله أشنع قتلة ثم قتل أخاه عمر أغا أيضاً وفعل هذا الشاه أفعالاً لا تأتلف مع ما كان عليه من الحكمة وحسن السيرة وحب التقدم والعمران .

وبعـــد أن هـــدأت بغداد أرسل الشاه وزيره قاسم خان بجيش كبير لفتح الموصـــل فأفتتح هذا القائد فى طريقه كركوك ثم توجه إلى الموصل وعليها إذ ذاك وال تـــركى أسمه حسين باشا فدافع عنها أياماً ثم عجز وأضطر إلى تسليمها فدخلها الفـــرس وأضـــطهدوا أهلها وفتكوا بهم كما فتكو بأهل بغداد وكان الشاه يؤمئذ مقيماً فى بغداد وقد تم أمره فى العراق (إلا البصرة) فى مدة شهرين بعد فتح بغداد ثم ذهـــب إلى كـــربلاء ثم النجف ومنها عاد إلى بغداد وجعل لحمايتها خمسة آلاف جـــندى فارســـى بقيـــادة صفى قلى خان وولى الحكم فيها لرجل من خاصته أسمه صـــارى خان وكتب إلى رؤساء القبائل العربية بلزوم السكينة والطاعة ثم عاد إلى مقره .

فـــلما كانت سنة ١٠٣٦ هـــ أمر الشاه قائده صفى قلى خان بالزحف عـــلى البصرة فحمل عليها من بغداد فحاصرها حصاراً شديداً وكانت حينذاك فى قبضـــة أمرائها المستقلين بها [(١)] وبينما صفى قلى خان يهاجم البصرة إذ فاجئه نعى الشاه (عباس الأول الصفوى) فترك الحصار وعاد إلى مقره .

وبقيـــت المـــدن العراقية فى قبضة الصفويين (عداً البصرة) سنة عشر سنة تقريباً (١٠٣٢ هـــ - ١٠٤٨ هـــ) ثم أخرجهم منها السلطان مراد خان الرابع

---

(١) اســـتقل هؤلاء الأمراء فى سنة ١٠٠٥ هـــ وأولهم أفراسباب وآخرهم حسين باشا ثم أرســـل السلطان محمد الرابع فى سنة ١٠٧٨ هـــ جيشاً بقيادة وزيره مصطفى باشا فأفتـــتح البصرة عنوة وطرد منها هؤلاء الأمراء ثم تغلب عليها أمير الحويزة فرج الله خـــان فى ســـنة ١١٠٩ هـــ فطرده العثمانيون منها فى سنة ١١١١ هـــ وظلت فى قبضتهم إلى أن أستولى البريطانيون عليها فى سنة ١٣٣٣ هـــ .

العثمانى فى سنة ١٠٤٨ هـ الموافقة لسنة ١٦٣٨ م بعد حروب استمرت أعواماً خسر فيها الفريقان (الأتراك والفرس) خسائر عظيمة وعادت للعثمانيين فى عهد الشاه صفى الدين خان الثانى المدعو سام ميرزا حفيد الشاه عباس الأول .

حملات الفرس على العراق

لما تولى عرش إيران الشاه طهماسب الثانى وآنس فى نفسه قوة طلب من الدولة العثمانية أن تعيد إلى مملكته جميع البلاد التى أخذها من أسلافه وأنفذ عنه مندوباً إلى الآستانة للمفاوضة مع رجال الحكومة فى هذا الطلب وذلك سنة ١١٤٢ هـ فلما لم تجبيه الدولة بشئ حمل بجيوشة الفارسية على تبريز فأستولى عليها ثم على همدان ثم كومنشاه فحدثت من أجل ذلك فتنة عظيمة فى عاصمة آل عثمان ثار الجيش فيها على رجال الدولة ناسباً هذا الحادث إلى خيانتهم فقتل عدداً منهم ثم أمتدت الفتنة إلى السلطان أحمد الثالث فخلع سنة ١١٤٣ هـ وبويع السلطان محمود الأول ابن السلطان مصطفى الثانى فجهزها الجيوش لقتال الفرس وكان الشاه قد توجه نحو العراق واجتاز بجيوشه الحدود ونهب القرى ثم قصد بغداد سنة ١١٤٣ هـ وحدثت بينه وبين أحمد باشا أمير العراق عدة حروب كانت سجالاً . وفى أثناء ذلك استرد الأتراك تبريز فلما علم الشاه بذلك أوقف الحرب وأنسحب من العراق وطلب الصلح وكادت تقرر شروطه لولا نادر خان القائد الأكبر للجيوش الفارسية الذى عارض فى تلك المعاهدة وحمل بجيوشه على العراق فعادت الحرب بين الدولتين فأنتصر الفرس وتقدموا حتى حاصروا بغداد فأستنجد أحمد باشا بالسلطان وظل مدافعاً حتى جائته النجدات بقيادة الصدر الأعظم عثمان باشا الأعرج سنة ١١٤٤ هـ والتقت بالفرس وبعد معارك دموية انتصر الأتراك قرب بغداد وأنسحب الفرس وعلى أثر ذلك سار عثمان باشا

بجيوشـــه قاصداً الموصل فلحقه الفرس بعد أن لموا شعبهم فالتقوا به وعادت الحرب فقـــتل عثمان باشا وانهزمت جيوشه فتقدم الفرس حتى مدينة الزور وعندها طلب الشـــــاه الصلح فتقررت شروطه على أن تعاد همدان وتبريز للفرس وتبقى روان (أريـــوان) وشروان والعراق للأتراك وتم الصلح فى منتصف جمادى الأولى سنة ١١٤٩ هـــ [١].

حملة نادر خان الأولى على العراق

ولما مات الشاه طهماسب الثانى سنة ١١٥١ هـــ وخلفه ابنه الشاه عباس الثالث تولى الوكالة عنه القائد نادر خان فطمع بالعراق وحمل عليه حتى أقترب من بغـــداد وحاصـــرها فى عهد الوزير أحمد باشا الذى تولى إيلة العراق سنة ١١٤٩ هـــ [٢] فأرسلت الدولة العثمانية جيشاً كبيراً لقتال الفرس وبعد عدة وقائع اندحر الجيـــش الفارســـى وجرح نادر خان . ولكنه بعد قليل لم شعثه وأعاد الكرة على العراق وانتصر على الأتراك فوجهت الدولة العثمانية جيشاً آخر سنة ١١٥٢ هـــ

---

[١] وفى رواية أن نادر خان حاصر بغداد سنة ١١٤٥ هـــ وظل محاصراً لها نحو خمسة أشهر وعاد عنها بالفشل ثم حاصرها سنة ١١٤٦ هـــ عشرين يوماً ثم ارتحل عنها وفى رواية أخرى أنه استولى على كركوك سنة ١١٤٥ هـــ ثم حاصر بغداد أياماً فى السنة نفسها ففشـــل ورفـــع الحصار وأرسل تركس خان القائد بجيش كبير إلى الموصل فحاصرها ولكنه عاد بالفشل أيضاً فى السنة نفسها (سنة ١١٤٥ هـــ) .

[٢] هو غير أحمد باشا بن حسن باشا الذى تولى إيالة العراق بعد موت أبيه سنة ١١٣٥ هـــ

فأنتصر عليه نادر خان . وعلى أثر ذلك تقررت المعاهدة الصلحية بين الدولتين على اعتبار الحدود التى كانت على عهد السلطان مراد خان الرابع فاتح بغداد وعادت جميع البلاد التى كانت الأتراك قد افتحوها من الفرس إلى أهلها (الفرس) عدا العراق .

حملة نادر شاه الثانية على العراق

عندما خلع الفرس الشاه عباس الثالث وتوصل نادر خان إلى الجلوس على عرش إيران وقرض الدولة الصفوية وأعلن نفسه ملكاً وسمى نادر شاه ولقب بطهماسب الثالث طمعت نفسه بالعراق فطلب سنة ١١٥٦ هـ من الدولة العثمانية أن تعترف بالمذهب الشيعى وتعتبره مذهباً خامساً وتخصص له ركناً فى الحرم الشريف (الكعبة) – وهو يعلم أن سياسة الأتراك تخالف هذا الطلب وأنهم بالطبع يرفضونه – فرفضت الدولة العثمانية طلبه فأتخذ ذلك الرفض ذريعة للحرب فحمل على العراق وأغار على البصرة والقرنة وذلك سنة ١١٥٦ هـ وتوغل فى البلاد الفراتية حتى وصل الحلة ثم حاصر بغداد وظل يتهددها برمى القنابل أياماً دافع فى أثنائها الوزير أحمد باشا دفاع الابطال حتى عجز نادر شاه عن فتحها وسار عنها إلى كركوك فأفتتحها ثم توجه نحو الموصل فأستولى على جميع القرى المجاورة لها ثم حاصر الموصل أياماً فساقت الدولة العثمانية جيشاً كبيراً لقتاله وبعد حروب كانت سجالاً بين الفريقين انسحب الفرس عن الموصل وساروا إلى

جزيرة ابن عمر فأسترد الأتراك كركوك وفى أثناء ذلك أعاد الكرة نادر شاه على الموصل فرده أهلها بالخسران لمناعة أسوارها التى كانت عوناً لهم على الدفاع فلما بـــلغ الأتراك ذلك حملوا على نادر شاه ثم ضيقوا عليه قرب روان ولكنهم دحروا وبعـــد ذلـــك وتوجه نادر شاه إلى جهة أرضروم وكتب إلى السلطان محمود الأول يطـــلب تسليم إيالات وأن والموصل وبغداد فلم يجيبه السلطان بغير إرسال الجنود لقـــتاله فخـــاف نـــادر شاه عاقبة التوغل فى البلاد العثمانية فعدل عن طلبه وبعد مفاوضـــــــــات طويـــلة تم الصـــلح معه على اعتبار الحدود القديمة وذلك سنة ١١٥٩ هـــ.



الدولة الزندية

أو الدولة الفارسية الثامنة

في العراق

١١٩٠ هـ - ١١٩٣ هـ

كانت البصرة فى قبضة العثمانيين منذ أرسل السلطان محمد الرابع وزيره قره مصطفى باشا بجيش كبير فى سنة ١٠٧٨ هـ ثم تغلب عليها أمير الحويزة فرج الله خان بن مطلب فى سنة ١١٠٩ هـ فطرده الأتراك فى سنة ١١١١ هـ وظلت فى قبضتهم إلى سنة ١١٩٠ هـ .

وكانت الدولة العثمانية قد أهملت شؤون البصرة فقامت فيها الفتن بين ذوى المطالع فى الوقت الذى كان فيه كريم خان الزندى قد تغلب على مملكة إيران فأغتنم فرصة الأضطراب فأعلن الحرب على العثمانيين وأرسل أخاه صادق خان بجيش كبير فى أواخر سنة ١١٨٨ هـ فحاصر البصرة فى سنة ١١٨٩ هـ ومعه عشيرة بنى كعب العربية ، ودام الحصار ثلاثة عشر شهراً حتى أضطرها إلى التسليم فى سنة ١١٩٠ هـ فى عهد السلطان عبد الحميد الأول ، وأسر الفرس متسلم البصرة سليمان بك وجماعة من الأشراف والوجوه والتجار وأرسلهم صادق خان مخفورين إلى شيراز عاصمة كريم خان .

ولما استتب أمر صادق خان بالبصرة حدثته نفسه بالاستيلاء على بلاد المنتفك فأرسل فى سنة ١١٩٢ هـ أخاه محمد على خان بجيش كبير لغزو المنتفك فأستعد المنتفكيون لقتالهم وأجتمعوا بالفصيلة قرب الفرات فالتقى الفرس بهم هناك

وأشتبكوا معهم بالقتال فأستمرت الحرب يوماً وليلة فأنجلت عن هزيمة الفرس وقتل عــدد كــبير منهم فلحقهم فرسان العرب فغرق من الفرس فى الفرات وقتل عدد كثير وغنم العرب أموالهم وخيولهم وعادوا إلى مواطنهم ظافرين ، فلما كانت سنة ١١٩٣ هــ جهز صادق خان مرة أخرى جيشاً فارسياً للأستيلاء على المنتفك بقيــادة أخيه محمد على خان أيضاً وأرسل معه عشيرة بنى كعب العربية واستنجد بأخيــه عبد الكريم خان فأمده بالجنود الكثيرة فسارت الحملة والتقت بالمنتفكين فى أبى حلانــة وعليهم يومئذ الأمير أن ثامر بن سعدون وثوينى بن عبد الله فلما رأى العرب كثرة الفرس واستعدادهم خافوا الفشل فطلبوا الصلح فشرط عليهم القائد محمــد على خان شروطاً أبتها نفوسهم فأختاروا الموت على الحياة بالذل ورفضوا تلك الشروط واستعدوا للحرب فحدثت بين الفريقين حرب دموية هائلة استمات فيها العرب فهجموا هجمات شديدة لم يسمع بمثلها فأنتهت المعركة بتمزيق الفرس وقــتل القائد محمد على خان وأخيه مهدى خان فأنهزم من بقى من الفرس فلحقهم المنتفكيون وقتلوا منهم عدداً كبيراً وغنموا أموالاً وسلاحاً وخيلاً وظلوا يطاردونهم إلى البصــرة وهناك حاصروهم فيها وضيقوا عليهم الخناق وصادف فى أثناء ذلك مــوت عــبد الكــريم خان فخاف صادق خان على نفسه من أن يمد والى العراق المنــتفكين الذيــن حاصروه فيقع فى الأسر وقد أصبح بعد موت أخيه وحيداً إلا ناصــر له فأنهــزم ليــلاً بمن معه من البصرة فى السنة نفسها (سنة ١١٩٣ هــ) فدخــلها المنــتكيون وكتبوا بذلك إلى حكومة بغداد فأرست متسلماً إلى البصرة نعمــان بــك . وأفل الحكم الفارسى من البصرة بعد أن دام فى هذه المرة نحواً من ثــلاث ســنوات . وعلى أثر وصول المتسلم إلى المدينة أطلق الفرس الإسراء ومن جملــتهم المتســلم سليمان بك فارجعته الدولة العثمانية إلى منصبة بعد أيام قليلة ثم

وجهـت إليه بعد أشهر ولاية العراق وهو الذى عرف أخيراً بالوزير سليمان باشا الكبير .

وبقيت المدن العراقية كلها بعد هذه الحادثة خاضعة للعثمانيين إلى أن قامت الحـرب العامـة المشئومة فأنسلخت منها البلاد العراقية الواحدة تلو الأخرى بعد حـروب طـال أمدها وجلبت على أهل البلاد أنواع المصائب وضروب النوائب وكان سقوط البصرة أو مفتاح العراق فى سنة ١٣٣٣ هـ وسقوط بغداد عاصمة العـراق فى سـنة ١٣٣٥ هـ . وقامت بعد الحكم العثمانى حكومة الاحتلال البريطانى ثم قامت الحكومة العراقية العربية بعد حوادث يطول ذكرها .

تتمة لما مر

لا يخفـى على القارئ الكريم أن الأمة الفارسية من أقدم أمم العالم وأشدها شـوكة وهـم مـن الشعوب الآرية أعنى أخوان الأوربيين من الرومان أو اليونان وغيرهـم وقد نزلوا بلاد إيران منذ أقدم الأزمنة وكان لهم أستعداد فطرى لأسباب الـتمدن وذكاء وتعقل فأنشاؤا الدول ووضعوا الأحكام وساسوا الأمم ونبغ منهم مـلوك عظـام مـثل كورش ودارا الأكبر وكسرى أنوشروان . وظهر من بينهم طوائـف عديدة فى أزمان مختلفة من العلماء والفلاسفة والأدباء والخطباء والكتاب والأطـباء وأعتـنوا بالطب وعلم الفلك والطبيعيات والرياضيات وترجموا العلوم والفلسـفة. وبـنوا المدن الكبيرة والمراصد والمدارس والمستشفيات وأعتنوا بالرى اعتناء كثيراً . وأشتهرت فيهم بيوتات شريفة وقواد محنكون .

وهـم أقـدم من خالط العرب من الأمم الغربية بل من أقدم من ساد على العرب ومن أجل ذلك كانت بين الأمتين منافسة خصوصاً فى أيام الدولة الساسانية الـتى كان ملوكها يخرجون العرب فى أكثر الأحيان من بلادهم بالسيف فيقابلهم

العـــرب بالغـــارات على مدن الفرس وينتقمون منهم على أنهم كانوا يستخدمون العـــرب فى دواوينهم للكتابة والترجمة وكان أكثر ملوكهم يتفنون العربية وبعضهم كـــان يـــنظم الشـــعر العربى ومنهم من قرب العرب وأعلا شأنهم وأتخذهم عضداً ونصيراً .

ولم يشـــتركوا مع العرب فى دين واحد إلا عند ظهور الإسلام إذ كانوا فى العصـــور الواغلة فى القدم ممن يعبدون القوى الطبيعة المختلفة وخاصة الشمس ثم دخـــلوا فى ديـــن زردشت الذى ظهر بين القرن العاشر والسابع قبل الميلاد وعلى تـــوالى الأعوام حرفوا تلك الشريعة وأدخلوا فيها عبادة النار (أى صاروا مجوساً) وظلوا على المجوسية حتى جاء الإسلام فأعتنقوه بعد فتح بلادهم بالتدريج ثم صاروا بعـــد حـــين من الدهر فرقاً إسلامية ينتسبون إلى المذهب الجعفرى نسبة إلى الإمام جعفر الصادق مثل ما عليه كثير من القبائل العراقية اليوم .

مدة حكم الفرس فى العراق

مدة الحكم	أسم الدولة
٨	الدولة العيلامية فى جنوبى العراق (٢٢٩٥ ق م – ٢٢٨٧ ق م).
٢٠٧	الدولة الكيانية فى العراق كله (٥٣٨ ق م – ٣٣١ ق م) .
٣٥٢	الدولة البرتية فى العراق كله (١٢٦ ق م – ٢٢٦ بعد الميلاد).
٤١١	الدولة الساسانية فى العراق كله (٢٢٦ م – ٦٣٧ م) .
١١٠	الدولة البويهية فى العراق كله (٩٤٥ م – ١٠٥٥ م) .
٣٣	الدولة الصفوية الأولى فى العراق كله (١٥٠٢ م – ١٥٣٥ م) .
١٧	الدولة الصفوية الثانية فى العراق كله (١٦٢٠ م – ١٦٣٨ م) .
٣٠	الدولة الزندية فى البصرة فى العراق كله (١٧٦٨ م – ١٧٧١ م)
١١٤١	المجموع

مدة حكم غير الفرس فى العراق

أمـــا الذيـــن مـــلكوا فى العراق من غير الفرس كالمغول والأكراد واليونان والأتراك فمدتهم على الوجه الآتى :

مدة الحكم	أسم الدولة
٤٥٨٤	السومريون. المغول. مع أهل البلاد (٧٠٠٠ق م – ٢٤١٦ ق م) .
٥٦٤	الدولة الكوشية الكردية مع أهل البلاد (١٧١٤ق م– ١١٥٠ ق م)
١١٨	سيادة الأشوريين الساميين أو العرب (٧٢٩ق م – ٦١١ق م)
٢٠٥	الدولة اليونانية/ الإسكندر والسلوقيون (٣٣١ ق م– ١٢٦ق م)
٢٢٤	المغول التتر والتركمان (١٢٥٨ م – ١٥٠٢ م)
٨٥	الدولة العثمانية الأولى (١٥٣٥ م – ١٦٢٠ م)
٢٨٠	الدولة العثمانية الثانية (١٦٣٨ م – ١٩١٧ م)
٦٠٦٠	المجموع

مدة حكم العرب وغيرهم فى العراق

أما حكم العرب من أهل البلاد وغيرهم فمدقم على الوجه الآتى :

مدة الحكم	أسم الدولة
٤٤٢	الدولة البابلية الأولى/ السامية أو العربية (٢٤٦٠ ق م–٢٠١٨ ق م)
٣٦٨	أهل البلاد/ الكلدان أو البابليون (٢٠١٨ ق م – ١٧١٤ ق م)
٤٢١	أهل البلاد/الكلدان أو البابليون (١١٥٠ ق م – ٧٢٩ ق م)
٧٣	الدولة البابلية الثانية/ عراقية سامية (٦١١ ق م – ٥٣٨ ق م)
١١٤	العرب المسلمون / الخلفاء الراشدون وابن الزبير والأمويون (٦٣٧ م – ٧٥٠ م) .
١٩٥	الخلفاء العباسيون – الدورة الأولى (٧٥٠ م – ٩٤٥ م)
١٠٣	الخلفاء العباسيون – الدورة الثانية (١١٥٥ م – ١٢٥٨ م)
١٧١٦	المجموع

مدة الدول التى حكمت العراق

وعلى هذا تكون مدة الدول التى حكمت العراق منذ سنة ٧٠٠٠ ق م إلى سنة ١٩١٧ م على الوجه الآتى :

مدة الحكم	أسم الدولة
١١٤١	مجموع مدة الفرس
١٧١٦	العرب قبل الإسلام وبعده
٦٠٦٠	المغول والأكراد والتركمان واليونان والأتراك
٨٩١٧	المجموع

مصـــادر
ومراجع التحقيـــــق

١ - الكامل — لابن الأثير

٢ - معجم البلدان — لياقوت الحموى

٣ - تاريخ الرسل والملوك — للطبرى

٤ - المختصر فى أخبار البشر — لأبى الفداء

٥ - الأخبار الطوال — للدينورى

٦ - وفيات الأعيان — لابن خلكان

٧ - طبقات الأمم — لابن صاعد

٨ - كتاب الدعاة — لوجيه فارس

٩ - عنوان المجد — لإبراهيم فضيح الحيدرى

١٠- التمدن الإسلامى — لجورجى زيدان

١١- نزهة المشتاق — ليوسف غنيمة

١٢- خلاصة تاريخ العراق — للأب أنستاس

١٣- تاريخ الأمير أحمد حيدر

١٤- تاريخ الإسلام — لرزق الله

١٥- مطامع السعود — للشيخ أمين المدنى الحلوانى

١٦- تلخيص التاريخ العثمانى — تعريب شاكر أفندى

١٧- قرة العين — لرشيد السعدى

١٨- تاريخ البصرة — للنبهانى

١٩- التاريخ العام — لجميل نخلة المدور

٢٠- تاريخ بابل وآشور — لوئيس أساقفة سردادى شير

٢١- تاريخ مصر — لعمر الإسكندرى

٢٢- تاريخ محمد مراد — لأحمد زنيق التركى

٢٣- تاريخ على رشاد — لأحمد زنيق التركى

٢٤- تاريخ أحمد رفيق

٢٥- تاريخ سيناء

٢٦- التاريخ العمومى — لأحمد زنيق التركى

٢٧- الفهرست — لأمين واصف

٢٨- الجغرافيا العمومية

٢٩- الخرائط التاريخية — لأحمد صالح

٣٠- اتحاف أبناء العصر — للسيد عزمى

٣١- دائرة المعارف — لفريد وجدى

٣٢- المقالات التاريخية للأب أنستاس وفى المقتطف ليوسف أفندى غنيمة وفى جريدة العراق ومرآة العراق البصرية وغيرها بقلم جماعة من الكتاب والمحاضرات التى القاها المسترثميث عن الحفريات

فهرس

فهرس

فهرس

رقم الإيداع	٧٣٧١/ ٢٠٠١
I. S. B. N الترقيم الدولى	977 - 341 -025 -0

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ شارع بورسعيد / الظاهر
ت : ٥٩٢٢٦٢٠ فاكس : ٥٩٣٦٢٧٧